بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ١٢ ـ ربيع الثاني ١٤٢٩هجرية قمرية

أرديبهشت ١٣٨٧هجرية شمسية / أيار (مايو) ٢٠٠٨م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+هاتف: 88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ١٢

محمد باقر الصدر بمناسبة ذكرى استشهاده..... ٤

رسائل القرآن..... ٩

الشهيد الصدر في رؤية السيد الإمام الخامنئي ١٦

موقف الشهيد الصدر من الثورة الإسلامية في إيران ١٩

ملامح النظرية الاقتصادية للإمام الصدر..... ٢٥

معالم فلسفة جديدة في كتابات الصدر ٣١

التقريب المذهبي في مشروع الإمام الصدر..... ٣٨

أخلاقية الاقتصاد الإسلامي في فكر الشهيد الصدر..... ٤٨

علاقة الإنسان بالطبيعة وبأخيه في فكر الشهيد الصدر..... ٦١

تقرير عن المؤتمر الحادي والعشرين للوحدة الإسلامية/القسم الأول ... ٦٨

عرض لأوراق : أحمد مبلغي، احمد محمد خاف المؤمني، أسعد السحمراني، حسن الصفار، محمد عسيران، إيمل رحيموف، الصادق المهدي، إحسان بعدراني، سيد علي فضل الله،

محمد باقر الصدر
بمناسبة ذكرى استشهاده

السيد الشهيد، عملاق الفكر الإسلامي المعاصر محمد باقر الصدر، يقف الإنسان مشدوهًا حائرًا أمام هذه الشخصيّة لسعتها وعظمتها وسموّها ونبوغها، لا يدري أي جانب يتناول منه إذا أراد تعريفه.

عظمة هذا الرجل تعود إلى توفّر كل عناصر سموّ الكائن البشري فيه، وعلى رأسها تحرره من ذاتيته الفردية وذوبانه في ذات الله.

هذا إلى جانب خصائص تجمّعت فيه وقلّما تجتمع في شخص واحد ومنها: العمق العملي، والذهنية المنفتحة على الرسالة الإسلامية بأوسع أبعادها، وفهمه المركز للواقع الاجتماعي ولما يحيط بعصره من فرص وتحديات وتيارات واتجاهات فكرية وسياسية، ونبوغ فريد أهّله لأن يغوص في أعماق كل ما يهتمّ به من مشاريع ومواضيع فكرية وعلمية وعملية.

دع كل ذا، فالحديث عن إخلاص الشهيد الصدر لربّه كاف لسموّه. وهذا هو الذي فجّر فيه كل الطاقات التي أودعها ربّ العالمين في الكائن البشري حين نفخ فيه سبحانه من روحه، فاستحقّ أن تسجد له الملائكة وتأهّل لحمل الأمانة الكبرى.

ينتمي الشهيد محمد باقر الصدر إلى أسرة الصدر المعرفة بالعلم والجهاد والتقوى، وأمه من أسرة آل ياسين التي لا تقل شأنا عن أسرة الصدر.

ولد في مدينة الكاظمية قرب بغداد، وفقد والديه في صغره، وتولّى تربيته أخوه الأكبر السيد إسماعيل الصدر.

درس مقدمات العلوم في مسقط رأسه، وواصل دراسته في النجف الأشرف، وبدا عليه النبوغ منذ صغره وبلغ درجة الاجتهاد ولمّا يبلغ الحُلُم، وهي ظاهرة نادرة جداً في تاريخ الحوزات العلمية. وكتب في علم أصول الفقه: «غاية الفكر في علم الأصول» في العشرين من عمره وطبع ونشر سنة ١٣٧٦هـ .

رغم تعمّق هذا الشاب في الدراسات الفقهية والأصولية، فإنه لم يتقوقع في إطارها، بل اتجه إلى المقصد الإسلامي الكبير، وهو إقامة الحياة الإسلاميّة وفق ما تتطلبه ظروف العصر، فقدّم بلغة العصر ما يخدم هذا المقصد.

كانت الظروف التي أحاطت بالعالم الإسلامي في الخمسينات تعجّ بالتيارات الفكرية الوافدة، وعلى رأسها الفكر الماركسي الاشتراكي والفكر الليبرالي الغربي، فتصدّى لها بكل ما تتطلبه المرحلة من اطلاع واسع معاصر على هذه التيارات، ومن قدرة على تقديم البديل الإسلامي بلغة العصر وعلى مستوى احتياجات العصر.

ظهر كتاب «فلسفتنا» سنة ١٩٥٩م وفيه كما يقول السيد الشهيد «مجموعة مفاهيمنا الأساسية عن العالم وطريقة التفكير فيه».

ثم ظهر «اقتصادنا» ليناقش المشروع الاقتصادي الماركسي والمشروع الاقتصادي الليبرالي الغربي، وليقدم في الجزء الثاني منه مشروع الاقتصاد الإسلامي.

والكتابان اشتهرا في العالم الإسلامي شهرة واسعة، وتُرجما إلى اللغات العالمية، وكان أثرهما في «التقريب بين المذاهب الإسلامية» يفوق تأثير أي مشروع آخر لأسباب أهمها:

أنه رفع نظرة المجتمع المسلم في عصره من التفكير في المسائل الصغيرة إلى التفكير في المشروع الإسلامي المتمثل بعودة الحياة الإسلامية. وهذا الارتفاع في النظرة له نتائجه في التعالي على الصغائر والخلافات الجانبية.

ولم يكتف الرجل بمخاطبة المتخصّصين عبر كتابيه المذكورين، فألف «المدرسة الإسلامية» لتكون سُلمًا لعامّة القراء للوصول إلى مستوى اقتصادنا وفلسفتنا يقول:

«وقد لاحظنا من البدء مدى التفاوت بين الفكر الإسلامي في مستواه العالي وواقع الفكر الذي نعيشه في بلادنا بوجه عام حتى يصعب على كثير مواكبة ذلك المستوى العالي إلا بشيء كثير من الجهد، فكان لابدّ من حلقات متوسطة يتدرج خلالها القارئ

إلى المستوى الأعلى ويستعين بها على تفهم ذلك المستوى الأعلى وهنا نشأت فكرة (المدرسة الإسلامية)».

وقد بلغ الذروة في مشاريعه العلمية التأسيسية بكتابه «الأسس المنطقية للاستقراء» وكانت ثمرته:

١ـ عدم اعتبار الدليل الفلسفي لعقمه، واستبداله بالدليل العلمي القائم على البرهان اليقيني والاستقراء المنطقي.

٢ - وكنتيجة للنقطة الأولى تم القضاء على مرجعية الدليل الفلسفي واحتكاره لمجال الاستدلال على قضايا العقيدة وإفرازاتها المباشرة وغير المباشرة.

٣ - اعتبار الدليل الاستقرائي وأسسه المنطقية مرجعًا رئيسيًا وضروريًا في عملية إنتاج المعرفة أو الاستدلال على مصداقيتها وموضوعيتها.

٤ - إحداث قطيعة تاريخية ومعرفية مع قرون من الجدل الفلسفي العقيم حول قضايا المعرفة بصفة عامة والمعرفة الصادرة عن الوحي بصفة خاصة، بعد أن تم التأكيد على أن طريق المعرفة اليقينية في مثل هذه القضايا يمر عبر نفس الاتجاه الذي تسير عبره الإنسانية شؤونها الحياتية وتنجز من خلاله منجزاتها العلمية والتكنولوجية وحضارتها المادية.

وبهذا يكون هذا الأصل التأسيسي قد وصل إلى قمة أهدافه بإحداث نقلة نوعية كبيرة بخصوص أخطر قضية تواجه

الإنسانية منذ وجودها، وهي مسألة إقامة الدليل على يقينية أو عدم يقينية المعرفة التي يحصل عليها الإنسان يوميًا. وعلى هذا تكون نظرية المعرفة قد اكتمل بنيانها.

وحين طُلب منه أن يكتب مشروعًا لبنك إسلامي لا يتعامل بالربا قدم كتاب «البنك اللاربوي في الإسلام» وفيه تبين إحاطة السيد الصدر بالجانب المالي والإداري من البنك إضافة إلى قدرته على تقديم مشروع إسلامي لبنك لا يتعاطى بالربا، وكان ذلك أساسًا لما أُنشئت بعد ذلك من بنوك إسلامية.

كتبه الفقهية والأصولية تبيّن اهتمامه بالتأصيل الفقهي لمشاريعه، كما توضح تبنّيه لقيادة علماء الدين من تلك الكتب: «دروس في علم الأصول» و«بحوث في العروة الوثقى» و«تعليقه على منهاج الصالحين» و«غاية الفكر في الأصول».

ولقد نحا في دراساته الفقهية والأصولية منحىً مقاصديًا وجّه فيه هذه الدراسات نحو الواقع العملي، نائيًا بذلك عن البحوث النظرية العقيمة غير المنتجة.

وبمناسبة مرور ٢٨ عامًا على استشهاده على يد النظام الدموي البائد في العراق خصّصنا جانبًا من هذا العدد لإلقاء الضوء على شخصية هذا الرائد الكبير.

رسائل القرآن

* محسن قراءتي

٣٤- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

الرسائل:

● يظهر من السياق القرآني أن إبليس كان من فصيلة الجنّ، لكنه كان يعبد مع جَمعِ الملائكة: ﴿كَانَ مِنَ الجن﴾.

● السجود لآدم هو في الواقع عبودية لله، لأنه استجابة لأمره سبحانه. (وهذا ما تؤكده النصوص الدينية). فالعبادة الحقيقية هي تلبية أمر ربّ العالمين، لا القيام بعمل تمليه الأهواء. كان آدم على استعداد لأن يسجد قرونًا لله، وأنه لا يسجد لآدم.

● إبليس ارتكب انحرافين وخطأين:

آ -انحرفًا عقديًا، ﴿أبى﴾ فكان ذلك سبب فسقه: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾.

ب -انحرفًا أخلاقيًا، ﴿استكبر﴾ فكان من الهالكين: ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾.

---

* - داعية إسلامي معروف.

● السجود لآدم لم يكن لشخصه فقط، بل لنسله وأولاده أيضًا، يقول سبحانه: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ وفي نص للإمام السجاد(ع) تأكيد على أن السجود لآدم كان أيضًا لذريته ونسله.

● سجود الملائكة لآدم كان مؤقتًا، لكن نزولهم على المؤمنين والاستغفار لهم دائم: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾.

● السجود لآدم لم يكن لبنائه الجسدي، بل لما يحمله من روح إلهية:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾.

● ليس من الإنصاف أن تسجد الملائكة للإنسان، وأن لا يسجد الإنسان لربّ العالمين.

● الملائكةُ مثلُ الإنسانِ يخاطبها الله سبحانه بالأمر وبالنهي: ﴿اسجدوا لآدم﴾.

● الكفاءة مقدمة على السابقة. فالملائكة بكل ما عندهم من سابقة يجب أن يسجدوا لآدم، لكفاءته، رغم حداثته.

● عدم الإيمان بالأوامر الإلهية أخطر من عدم الانصياع لها: ﴿أبى واستكبر﴾.

● تكبر إبليس كان مبعث شقائه: ﴿وكان من الكافرين﴾.

٣٥- ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾.

الرسائل:

● «الشجر» في القرآن قد يعني «النبتة» أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿شجرة من يقطين﴾ لذلك لا يبعد أن تكون الشجرة ـ كما جاء في بعض الروايات ـ نبتة القمح . «الجنة» تطلق أيضًا على رياض الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾، والقرائن القرآنية والروائية تدل على أن الجنة التي سكن فيها آدم لم تكن الجنة الموعودة لما يلي:

١ -الجنة الموعودة دار جزاء، ولم يكن آدم قد عمل شيئًا كي يجازى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ منكم﴾ .

٢ - تلك الجنة دار الخلود، وداخلها لا يخرج منها:﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

٣ -في تلك الجنة ليست ثمة أوامر ونواه وحظر وتكليف، بينما حُظر على آدم الاقتراب من الشجرة.

وفي روايات أهل البيت(ع) مايدلّ أيضا على أن جنة آدم لم تكن الجنة الموعودة.

● لم يكن النهي لآدم نهيًا تكليفيًا بل من باب التوصية والتوجيه، ولذلك لم يرتكب محرّمًا في عمله.

● السياق القرآني يدلّ على أن المرأة تابعة للرجل في المسكن: ﴿أنت وزوجك﴾. كل ماجاء في خطاب آدم كان فيه تسوية بين آدم وحواء: ﴿كُلا، شئتما، لا تقربا، تكونا، أزلّهما، أخرجهما﴾، ولكن في المسكن لم يقل: «اسكنا» بل قال: ﴿اسكن أنت وزوجك﴾.

● الاقتراب من الذنب مقدمة للسقوط في الذنب، ولذلك جاء النهي عن الاقتراب: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾.

● عدم الاستجابة للتوجيهات الإلهية ظلم للنفس: ﴿فتكونا من الظالمين﴾، والظلم هنا يمكن فهمه في إطار عصمة الأنبياء على أنه ترك الأولى. ثم إن زلة آدم كانت قبل نبوته كما في بعض الروايات.

٣٦ - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

الرسائل:

● يظهر من قوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أن الهدف الأساس من خلقة الإنسان هو الاستخلاف في الأرض، ولكن الحياة على ظهر الأرض كانت بحاجة إلى تمهيد، وكان على آدم أن يعلم:

١ -أن الحرية ليست مطلقة، ففي حياته أوامر ونواه وتكليف.

٢ - إبليس يتربّص به الدوائر، ويعمل على إغوائه بشتى السبل.

٣ - إطاعة الشيطان عامل سقوطه.

٤ -التوبة وسيلة للعودة إلى الجادة الصحيحة.

● الشيطان يتوسل بمختلف السبل لإغواء الإنسان من ذلك:

آ -أنه أقسم لآدم وحواء: ﴿قاسَمَهُما﴾.

ب -ومن ذلك أنه تظاهر بالإصلاح والنصيحة: ﴿انِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ .

ج -وعد بالأبدية في الحياة وفي الملك: ﴿شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾.

د -اختلاق الكذب على الله سبحانه: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّـجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَـا مَلَكَـيْنِ أَوْ تَكُونَـا مِـنَ الْخَالِـدِينَ﴾ فالشيطانُ صوّر النهي على أنه إبعاد آدم وحواء عن أن يكونا مَلَكين أو أن يكونا من الخالدين.

- خطر الشيطان محيط حتى بالعظماء، فقد اتجه إلى آدم وحواء.
- الشيطان عدوّ أزلي للبشرية، إذ إنه اتجه منذ بداية الخلقة إلى آدم وحواء.
- الإنسان معرّض ذاتيًا للأخطاء وللوسوسة.
- كل إنسان، بسبب ما يمتلكه من كفاءة ولياقة، هو من أهل الجنة، ولكن ارتكاب الأخطاء يعرّضه للسقوط.
- علينا أن نعتبر بالعواقب المترتبة على عصيان رب العالمين ووساوس الشيطان، فالانصياع للشيطان مساو للخروج من مراتب السموّ الإلهي والحرمان منها.
- الحياة الدنيا موقتة: ﴿مستقرّ ومتاع إلى حين﴾.

٣٧- ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

الرسائل:

- لقد انتبه آدم إلى زلته بعد أن أكل من الشجرة المحظورة، وحُرم من النعيم، فندم على ذلك وتلقى من ربه كلمات، فتقدم بها إلى الله يطلب منه التوبة.
- والكلمات في بعض ما روى عن طرق أهل السنة والشيعة هم النبي(ص) وأهل بيته. وعن ابن عباس أن آدم اتجه إلى الله بالتوبة فأقسم عليه: «بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين» (الدر المنثور ١/٦٠). وقيل إنه تلا ما جاء في سورة الأعراف: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.
- كما أن توفيق التوبة من الله سبحانه كذلك طريق التوبة منه سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾
- قبول التوبة وبيان سبيلها من شؤون التربية والربوبية: ﴿من ربه﴾
- الله سبحانه بلطفه وكرمه يقبل التوبة حين تكون حقيقية: ﴿هو التوّاب﴾، وصيغة المبالغة في التوّاب تعني أنه يعود فيقبل التوبة ممن نقض توبته.
- قبول التوبة مقرون برحمة الله ولطفه لابعتابه ولومه: ﴿التوّاب الرحيم﴾

٣٨- ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ

هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

الرسائل:

- **الاعتراف بالخطأ أدّى طبعًا لأن يشمل آدمَ العفوُ الإلهي، لكنه ماعاد إلى الجنة. لأن الآثار الوضعية للزلّة هي غير العفو الإلهي. الأمر بالهبوط في الآيات السابقة كان مقرونًا بنوع من السخط، لكنه جاء في سياق هذه الآية بصورة عاديّة لأنه بعد توبة آدم. وفي السياق أيضًا طمأنة بزوال الخوف والحزن عمّن يتّبع هدى الله.**
- **قد تمتدّ الآثار السلبية والإيجابية لعمل ما إلى جميع الأعصار والأجيال: ﴿اهبطوا منها جميعًا﴾.**
- **لا يجوز طرد الإنسان بمجرد ارتكابه زّلة أو خطأ، فالإنسان قابل للهداية والإرشاد: ﴿يأتينّكم من هدًى﴾ .**
- **من أجل هداية البشرية لابدّ من الأنبياء ﴿يأتينّكم﴾.**
- **الهداية الحقيقية لمسيرة البشرية لا تكون إلاّ منه سبحانه:﴿مني هدًى﴾ .**
- **تحقق الأمن والاستقرار إنما يكون في ظل الالتزام بتعاليم الدين وهداية ربّ العالمين: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.**

الشهيد الصدر

في رؤية السيد الإمام الخامنئي *

بسم الله الرحمن الرحيم

المرحوم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس الله روحه) وقمّة من قِمَمِ الممتازين والمدهشين بين الرموز الشامخة في الحوزات العلمية خلال العقود الأخيرة.

يحقُّ لكل مجمع علمي أن يرفع رأسه فخورًا بما قدمة إنسان كبير كهذا العالم الجليل. كان ـ دونما ترديد ـ نابغة، وكان كوكبًا ساطعًا. فهو من الناحية العلمية جمع في رجل واحد الشمول والعمق والإبداع والشجاعة العلمية. ويُعدُّ مؤسسًا وصاحب مدرسة في علم أصول الفقه، وفي الفقه، والفلسفة، وما يرتبط بهذه العلوم.

ما كان يمتلكه من كفاءة غير عادية ودأب قلّ له نظير جعل منه عالمًا متعمقًا في ألوان الفنون، ولم ينحصر ذهنه البحّاث ولم تتحدّد رؤيته الثاقبة في آفاق علوم الحوزة المتداولة، بل أحاط

---

* -من نداء وجهه إلى مؤتمر الشهيد الصدر، طهران ١٤٢١هـ .

بالبحث والتحقيق كلَّ موضوع يليق بمرجع ديني كبير في عالمنا المتنوع المعاش، خالقًا من ذلك الموضوع خطابًا جديدًا، وفكرًا بكرًا، وأثرًا خالدًا.

دُرّة علم وبحث، وكنز إنساني لا نفاد له، لو بقي ولم تتطاول إليه اليد الآثمة المجرمة لتخطفه من الحوزة العلمية، لشهد المجتمع الشيعي خاصة والإسلامي عامة في المستقبل القريب تحليقًا آخر في سماء المرجعية والزعامة العلمية والدينية.

وبفضل الله وعونه تُوجت كل تلك الفضائل الكبرى بسموّ مرتبة الجهاد في سبيل الله. فحين دخلت حوزة النجف العريقة تجربة تيارات الصحوة الإسلامية والثورية، سلك هذا الرجل المتيقّظ الواعي طريق الجهاد العلمي والسياسي وضاعف من تألّقه المعنوي، وأحسّ بعمق حاجة عصره، وسار بخطى ثابتة على الطريق الذي اختطه أجداده الطاهرون لأتباعهم وخلفائهم. وما أسرع مانال أجر هذه التضحية العظيمة.. أجرًا تجسّد في المحنة ثم الشهادة في سبيل ربّ العالمين.

الشهيد آية الله الصدر هو دونما شك أسوة وقدوة للطلاب والفضلاء الشباب. دروسه في بناء الإنسان لم تنته بشهادته المفجعة. آثاره العلمية ومنهجه في البحث ماثلة أمام الفضلاء الشباب في الحوزة العلمية، وإشارة إصبعه توجههم إلى طريق العظمة والمجد العلمي مقرونًا بالتفتح والرؤية العالمية.

الحوزات العلمية اليوم بحاجة أيضًا إلى الشهيد الصدر، وإلى كلّ ما فيه من عناصر الهمّة والطاقة التي تساعدهم على متابعة طريقه العلمي ورؤيته الإسلامية ونظرته العالمية.

صلاة وتحيةً من الأعماق أبعثها إلى تلك الروح الطاهرة والى أخته الشهيدة المظلومة بنت الهدى، سائلا الله سبحانه وتعالى لهما الرحمة وعلو المنزلة، وتوفيق نموّ الفضلاء الشباب في الحوزات وتربيتهم على هذا النحو، وأسأله سبحانه كذلك الأجر الحسن لكل القائمين على أمر هذا التجمع العلمي والثوري، وأن يبارك هذا المشروع ويزيد من عطائه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الخامنئي

٢١ شوال ١٤٢١

أحاط (الشهيد الصدر) بالبحث والتحقيق بكل موضوع يليق بمرجع ديني كبير في عالمنا المتنوع المعاش، خالقًا من ذلك خطابًا جديدًا، وفكر بكرًا، وأثرًا خالدًا...

الحوزات العلمية اليوم بحاجة أيضًا إلى الشهيد الصدر، وإلى كلّ ما فيه من عناصر الهمّة والطاقة التي تساعدهم على متابعة طريقه العلمي ورؤيته الإسلامية ونظرته العالمية.

الامام الخامنئي

موقف الشهيد الصدر
من الثورة الإسلامية في إيران

موقف الشهيد الصدر من الثورة الإسلامية في إيران يبين من جهة ذوبان الشهيد الصدر في رسالته الإسلامية، ويوضّح ما يحمله من آمال للأمة الإسلامية، ويكشف عن قناعته في قدرة علماء الدين على قيادة الأمة وإقامة المجتمع الإسلامي.

كان الشهيد الصدر مرتبطًا عاطفيًا وسياسيًا وفكريًا بالإمام الراحل الخميني العظيم منذ سنوات كثيرة؛ فنراه يناصر الإمام الخميني (نص) منذ خمس وأربعين سنة عبر رسالة يرسلها إلى أحد إخوانه العلماء يقول فيها "وأما بالنسبة إلى إيران فإن الوضع كما كان، وأقاي خميني مبعدٌ في تركيا من قبل عملاء أمريكا في إيران، وقد استطاع أقاي خميني في هذه المرة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتّهم المعارضة باستمرار بالرجعية والتأخر، لأن خوض معركة ضد إعطاء امتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالرجعية والتأخر».

ويقول شهيدنا الغالي في مكان آخر: «لقد استطاع الشعب الإيراني المسلم أن يشكل القاعدة الكبرى لهذا الرفض البطولي

والثبات الصامد على طريق دولة الأنبياء والأئمة والصديقين، والشعب الإيراني العظيم بحمله لهذا المنار وممارسته مسؤوليته في تجسيد هذه الفكرة وبناء الجمهورية الإسلامية يطرح نفسه لا كشعب يحاول بناء نفسه فحسب، بل كقاعدة للإشعاع على العالم الإسلامي وعلى العالم كله».

وبعد نجاح الثورة الإسلامية المباركة طرح الإمام الفقيد الخميني الكبير(رض) مشروع دستور الجمهورية الإسلامية، وأرسل حينها ثلة من العلماء البارزين في لبنان إلى السيد الشهيد يسألونه عن معالم الدستور الإسلامي جاء في أحد مقاطعها: «فالمرجو من سماحتكم بحكم ما يعرفه العالم الإسلامي كله عن تبحركم في الفقه وكل فروع المعرفة الإسلامية، وقيموميتكم الراشدة على أفكار العصر، أن تنفعونا بما يلقي ضوءاً في هذا المجال وتمدونا بانطباعات عما تقدرونه من التصورات الأساسية للشعب الإيراني المسلم بهذا الصدد..» وقد أعطى السيد الشهيد مجموعة مركزة من المفاهيم حول هذا الموضوع.

وفي معرض جوابه على هذه الرسالة يقول: «فأنا أشعر باعتزاز كبير يغمر نفسي وأنا أتحدث إلى هذا الشعب الإيراني المسلم الذي كتب بجهاده ودمه وبطولته الفريدة تاريخَ الإسلام من جديد، وقدم إلى العالم تجسيدًا حيًا ناطقًا لأيام الإسلام الأولى، بكل ما زخرت به من ملاحم الشجاعة والإيمان».

وبسبب بعض الحوادث عزم السيد الشهيد على الهجرة من النجف الأشرف، وفور سماع الإمام الراحل (رض) هذا الخبر أرسل ببرقية إلى السيد الصدر مطالبًا إياه بعدم الهجرة من العراق، لحاجة الحوزة العلمية والأمة الإسلامية إليه هناك، وهذا نص البرقية:

علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث، إنني لا أرى من الصالح مغادرة مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية، وإنني قلق من هذا الأمر. آمل إن شاء الله زوال قلق سماحتكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

روح الله الموسوي الخميني.

وقد كان رد السيد الشهيد على الإمام القائد (رض) هو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني دام ظله

تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت أبوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الأشرف الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة، وإني أستمد من توجيهكم الشريف نفحة روحية، كما أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف

الأشرف، وأود أن أعبر لكم بهذه المناسبة عن تحيات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز الذي وجد في نور الإسلام الذي اشرق من جديد على يدكم ضوءًا هاديًا للعالم كله وطاقة روحية لضرب المستعمر الكافر والاستعمار الأمريكي خاصة، ولتحرير العالم من كل أشكاله الإجرامية وفي مقدمتها جريمة اغتصاب أرضنا المقدسة فلسطين. ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتعنا بدوام وجودكم الغالي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف ـ محمد باقر الصدر

وقد لجأ نظام صدام البائد إلى فرض الإقامة الجبرية على الشهيد الصدر تخوفًا منه لأي عمل ضد السلطة، الأمر الذي أقلق الإمام الراحل(رض) فأبرق إليه ببرقية يستفسر بها عن أحواله، فأجابه السيد الصدر هاتفيًا لعدم تمكنه من إرسال البرقية، نظرًا للحجز الذي مارسه الحكم الظالم ضده، وهذا نص المكالمة:

سماحة آية الله العظمى الإمام المجاهد السيد الخميني دام ظله

استمعت إلى برقيتكم التي عبّرتْ عن تفقدكم الأبوي لي، وإني إذ لا يتاح لي الجواب على البرقية لأني مودع في زاوية البيت، ولا يمكن أن أرى أحدًا أو يراني أحد. لا يسعني إلا أن أسأل المولى

سبحانه وتعالى أن يديم ظلكم منارًا للإسلام، ويحفظ الدين الحنيف بمرجعيتكم القائدة، وأسأله تعالى أن يتقبل منا العناء في سبيله، وأن يوفقنا للحفاظ على عقيدة الأمة الإسلامية العظيمة، وليس لحياة أي إنسان (قيمة) إلا بمقدار ما يعطي لأمته من وجوده وحياته وفكره، وقد أعطيتم للمسلمين من وجودكم وحياتكم وفكركم ما سيظل على مدى التاريخ مثلاً عظيماً لكل المجاهدين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولم تكن ظروف الإقامة الجبرية المشددة للغاية قادرة على منع السيد الشهيد من أداء تكليفه الشرعي تجاه شعبه؛ فأصدر وهو في تلك الظروف الصعبة ثلاثة نداءات إلى الشعب العراقي المسلم يحثهم فيها على رفض الحكم الدكتاتوري الذي فُرض على الشعب وأذله، كما واسى الشعب العراقي - في نداءه الثاني - بما يلاقيه من إذلال وقتل وإرهاب، وأعلن السيد الشهيد في نداءه هذا بأنه قد صمم على الشهادة حيث يقول:

«وأنا أعلن لكم يا أبنائي (أنني) قد صممت على الشهادة ولعل هذا آخر ما تسمعوه مني».

وتحدث الشهيد السعيد في آخر نداء له لأفراد شعبه مؤكداً لهم ضرورة تلاحم كل أفراد الشعب بكل فئاته وطوائفه عرباً وأكراداً، شيعة وسنة ومؤكداً لهم أنه يبذل كل ما في وسعه من

أجل السني والشيعي، العربي والكردي على حد سواء لأنهم جميعاً أبناء الإسلام.

لقد خشى الطاغية صدام من وجود السيد الشهيد حتى وإن كان محتجزاً في بيته، لذلك اعتقل السيد المجاهد وأخته العلوية الطاهرة "بنت الهدى" بتاريخ ١٩٨٠/٤/٥م ونقلا إلى بغداد حيث تمت تصفيته ودفن السيد الشهيد في مدينة النجف يوم الأربعاء المصادف ١٩٨٠/٤/٩م.

أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يديم ظلكم منارًا للإسلام، ويحفظ الدين الحنيف بمرجعيتكم القائدة، وأسأله تعالى أن يتقبل منا العناء في سبيله، وأن يوفقنا للحفاظ على عقيدة الأمة الإسلامية العظيمة، وليس لحياة أي إنسان (قيمة) إلا بمقدار ما يعطي لأمته من وجوده وحياته وفكره، وقد أعطيتم للمسلمين من وجودكم وحياتكم وفكركم ما سيظل على مدى التاريخ مثلاً عظيماً لكل المجاهدين.

الشهيد محمد باقر الصدر
في رسالته الى الإمام الخميني

ملامح النظرية الاقتصادية

للإمام الصدر

عبدالهادي الفضلي *

• كان الشهيد الصدر فقيها على مستوى النظرية ومستوى التطبيق • لاحظت السيد الشهيد عن كثب بأنه مدمن على القراءة• امتلك ثروة ثقافية منحته موسوعية • مبادئ الاقتصاد الإسلامي في رأيه ثلاثة : الملكية المزدوجة، والحرية الاقتصادية في نطاق محدود، والعدالة الاجتماعية. • المشكلة الاقتصادية في رأيه تتمثل في : سوء التوزيع، وإهمال المسلمين لاستثمار خيرات الطبيعة.

قبل تبيان النظرية الاقتصادية للإمام الصدر من خلال كتابه «اقتصادنا»، من المفيد أن أشير الى العوامل التي ساعدت الشهيد الصدر علي إبداعاته العلمية في هذا الكتاب، وخروجه من دائرة التأليف الفقهي العام الى التأليف في الفقه الاقتصادي، وهي:

١. اجتهاده المميز:

وأعني بذلك أن الإمام الصدر كان فقيهًا مجتهدًا على مستوى النظرية والتطبيق.

---

* - عالم ومفكر وأستاذ جامعي من المملكة العربية السعودية.

مستوى النظرية الذي يعني أنه كان يمتلك وسائل الاجتهاد ويتمتع بالقدرة على الاستنباط.

ومستوى التطبيق الذي يعني انفتاحه علي الحياة المعاصرة، ومحاولة تعرّفه لكل ما يجري فيها من أحداث وتطورات علمية وغير علمية.

وتوصل الى هذه النظرة المميزة من خلال إيمانه، وعن معرفة واقعية للفقه الإسلامي بأنه النظام الإسلامي للحياة، بكل أبعادها وجميع شؤونها.

فليس هو الفقه المدوّن في المتون الفقهية، وإنما هو أوسع من هذا وأبعد، بما يشمل الاجتماع والاقتصاد والسياسة والخ.

٢ - موسوعيته الثقافية:

فقد لاحظتُ، عن قرب، حياته الثقافية فرأيته قارئاً مدمنَ القراءة، قرأ الكثير من الكتب القديمة، والكثير من الكتب الجديدة، وتابع الدوريات التي صدرت والتي تصدر، منوعًا في قراءاته لمختلف حقول المعرفة التي ترتبط مباشرًا وغير مباشر بتخصصه كفقيه مجتهد.

فقرأ الاشتراكية الماركسية في فكرها العقيدي والتنظيمي وتعرّف أيديولوجيتها السياسية العلمية والعملية.

وقرأ الرأسمالية مذهبًا اقتصاديًا وخطًا سياسيًا يهدف الى الهيمنة على كل مصادر الثروة في العالم.

وقرأ العلوم الحديثة، وبخاصة العلوم الإنسانية، تلك التي ساعدت من خلال دراستها وما تبديه من مرئيات وتقدمه من مقترحات وتضعه من خطط لتوسيع ونشر الأيديولوجية السياسية الغربية، بما مكّن لها السيطرة على مصادر ومعابر الثروات الطبيعية في العالم الثالث.

٣ - نظرته للحياة:

ونتيجة ما وفق إليه من ثروة ثقافية منحته الموسوعية التي أشرت إليها توسعت نظرته للحياة المعاصرة لتشملها بكل أبعادها وشؤونها. ومن هنا كان الفقيه بمستوى التطبيق.

٤ - فهمه لواقع الفقه الإسلامي:

بما له من شمولية لتنظيم كل شؤون حياة الإنسان فرديًا واجتماعيًا.

ذلك الفهم الذي استمده من مقارنة التشريع الإسلامي بالتشريعات القانونية الحديثة التي غطت كل الجوانب الاجتماعية للإنسان، اجتماعية بمعناها الخاص، واقتصادية وسياسية وإدارية وعسكرية والخ. والذي هداه الى أن في الفقه الإسلامي القدرة على هذه الشمولية، ومتميزًا بالجانبين العبادي والأخلاقي. وهذا ما أعانه أن يوازن بين النظرية والتطبيق في ما أعطاه من فكر فقهي.

وقد عبّر عن هذا في مقدمة كتابه «اقتصادنا» حيث نصَّ على

«أن الإسلام عقيدة ونظام كامل للحياة ومنهج خاص في التربية والتفكير».

٥ - متابعته لإفرازات الصراع الفكري العالمي:

ذلك الصراع المتمثل اقتصاديًا بالخلافات الفكرية بين الاشتراكية والرأسمالية، والتي تركت آثارها وانعكاساتها على الساحة العالمية تأزمًا نفسيًا، وتطلعًا لاقتصاد آخر ينقذ إنسان العصر من ضغوط هذا الصراع ونتائجه المريرة في أخطارها.

كل هذه العوامل التي تمثلت عناصر في تركيب شخصية الشهيد الصدر بصفته مفكرًا إسلاميًا وفقهيًا مجتهدًا دفعته لأن يعمل على استخلاص النظرية الاقتصادية الإسلامية من واقع الفقه الإسلامي، ثم يقارن بينها وبين النظرية الرأسمالية والنظرية الاشتراكية ليضعها في مركزها الفكري، ومن ثَمّ العملي، لإقامة النظام الاقتصادي الإسلامي على أساس منها.

ويلخص النظرية الإسلامية الاقتصادية، في أن المذهب الاقتصادي الإسلامي يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية تتكامل فيما بينها لتؤلف النظرية الاقتصادية الإسلامية، وهي:

الأول: مبدأ الملكية المزدوجة التي تتألف من:

- الملكية الخاصة أو الملكية الفردية.
- الملكية العامة أو ملكية الأمة.
- ملكية الدولة.

هذه الملكيات الثلاث تؤلف مجتمعةً مبدأ الملكية في الاقتصاد الإسلامي.

الثاني: مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود:

والحرية هنا، تعني السماح للأفراد بممارسة النشاط الاقتصادي، ولكن في حدود القيم المعنوية والأخلاقية التي يؤمن بها الإسلام.

وتحدّد هذه الحرية من جانبين هما:

أ. التحديد الذاتي ينبع من أعماق النفس، ويستمد قوته ورصيده من المحتوى الروحي والفكري للشخصية الإسلامية.

ب. التحديد الموضوعي الذي يعبّر عن قوة خارج الذات والنفس تقوم بضبط وتحديد السلوك الاجتماعي. وتلك القوة هي القانون في تشريعاته الخاصة كمنع الربا والاحتكار والتلاعب بالأسواق، وفي تشريعاته العامة بما يعطيه لولي الأمر، أو الدولة من صلاحية التدخل في ضبط حركة المال من خلال التوازن بين المصالح المشتركة للأفراد والأمة والدولة.

الثالث: مبدأ العدالة الاجتماعية:

ويتمثل هذا المبدأ في نظام توزيع الثروة المالية الذي يقوم على مبدئين، هما:

أ. مبدأ التكافل العام.

ب. مبدأ التوازن الاجتماعي.

ثم لابد من أن تلتزم النظرية الاقتصادية الإسلامية أو قل: المذهب الاقتصادي الإسلامي، التحرك في عالم الواقع وفي هدي الأخلاقيات الإسلامية.

هذه هي خلاصة النظرية الاقتصادية الإسلامية التي استخلصها الشهيد الصدر من واقع وطبيعة الفقه الإسلامي.

أما تفصيلاتها وتفريعاتها وأدلتها الشرعية ومقارناتها مع الاشتراكية والرأسمالية فذلك ما اشتمل عليه كتابه القيّم «اقتصادنا».

والذي نفيده عمليًا وفي مجال تطبيق الإسلام في واقعنا كمسلمين هو إقامة النظام الاقتصادي الإسلامي بمواده الشرعية المقننة على أساس من هذه النظرية، وذلك بأن تكون هذه النظرية المنطلق الشرعي، والمقصد الشرعي في وضع النظام الاقتصادي الإسلامي.

هذه هي النظرية الاقتصادية الإسلامية في مفهومها الشرعي ومجمل أبعادها وسماتها.

أما المشكلة الاقتصادية في رأي أستاذنا الإمام الصدر فتتمثل في بعدين يعيشان حياة المسلمين الراهنة، هما:

١. سوء توزيع الثروة الموجودة في الوطن الإسلامي.

٢ـ إهمال المسلمين لاستثمار الموارد المالية في الطبيعة.

معالم فلسفة جديدة في كتابات الصدر

محمد عبداللاوي*

• رجال الإصلاح وكثير من المفكّرين المسلمين إلى يومنا هذا لم يعيدوا صياغة الفكر الإسلامي حسب متطلبات العصر • إن الطرح الفلسفي للقضايا عند الصدر هو طرح يعتمد على النقد في الأساس • ركزّ على مسألة علاقة الفلسفة بالتاريخ وبا لمجتمع ومشكلة الميتافيزيقيا ونقد العقل • لقد أعاد الصدر صياغة الفكر الإسلامي صياغة فلسفية جديدة في أفق نقدي أقوى من فلسفة كل من الغزالي وابن رشد .

هل يمكن القول بوجود فلسفة إسلامية معاصرة؟ ماهي المبررات المنهجية والمفهومية التي تسمح بوجود فلسفة إسلامية معاصرة؟

إن الفكر الإسلامي يسعى إلى تغيير المجتمع وإعادة بناء الأمة الإسلامية، فهل يقتضي هذا العمل من الفكر الإسلامي أن تتم مقاربته للواقع من خلال مفاهيم فلسفية؟

لقد حاول الفكر الإسلامي إبتداء من القرن التاسع عشر، وعن

* - معهد الفلسفة ، جامعة وهران، الجزائر.

طريق نقد فكر عهد الانحطاط، أن يتكيف مع متطلبات المرحلة التاريخية الجديدة، فالمفكرون المسلمون قد استخدموا بعض المفاهيم في مجابهتهم للفكر الغربي الجديدة، (الرد على الدهريين للسيّد جمال الدين، ورسالة التوحيد لمحمّد عبده).

غير أن الفكر الإسلامي مايزال إلى يومنا هذا في بداية الطرح الفلسفي للقضايا، الفكر الإسلامي لم يتحرّر بعد تحرّرًا كليًّا من الطرح الجزئي للقضايا. لا شك أن رجال الإصلاح حاولوا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن يستوعبوا أسباب وعوامل تقدّم الغرب وأن يكشفوا عن الوسائل التي تمكّن العالم الإسلامي من اللحاق بالحضارة الغربية. غير أن الفكر الإسلامي في تلك المرحلة بقي فكرًا دون مستوى التحدّيات بسبب غياب الأدوات الفلسفيّة. لقد أعطى رجال الإصلاح الثقة للشعوب الإسلامية عندما عرّفوهم بتراثهم العريق. لكن لا وجود وراء هذا الموقف العاطفي تجاه تاريخ الأمة لأية رؤية اجتماعية وسياسية. فرجال الإصلاح وكثير من المفكّرين المسلمين إلى يومنا هذا لم يعيدوا صياغة الفكر الإسلامي حسب متطلبات العصر.

لقد كان الفكر الإسلامي متمحورًا حول الفقه (فقه الفروع) وعلم الكلام، ولم ينفتح على الطرح الفلسفي للقضايا إلاّ ابتداء من السيد جمال الدين. غير أن هذا الانفتاح على البعد الفلسفي كان محتشمًا وضمنيًا، لم يصبح مباشراً إلاّ على يد محمد إقبال

والإمام الخميني (قدس الله روحه) ولم يتخذ صورته الفلسفيّة الواضحة والمكتملة إلاّ على يد السيّد محمد باقر الصدر.

إن الطرح الفلسفي للقضايا عند الصدر هو طرح يعتمد على النقد في الأساس. وهذا يختلف تمامًا عن النزعة التوفيقية كما تجلّت في الفلسفة الإسلامية قديمًا. وكما تتجلّى في الاتّجاه المحدث (في العالم الإسلامي) الذي حاول أصحابه أن يوفقوا بين الماركسية والإسلام، كما حاولوا أن يصيغوا فلسفة وجوديّة عربيّة (عبدالرحمن بدوي). فالصدر حدّد الإطار المنهجي والمعرفي لفلسفة إسلامية معاصرة حسب متطلبات المفاهيم الإسلامية كالتوحيد والبعث وخلافة الإنسان. وقد طرح الصدر، انطلاقًا من هذه المفاهيم، مسألة علاقة الفلسفة بالتاريخ وبالمجتمع ومشكلة الميتافيزيقيا ونقد العقل، كما طرح في هذا السياق مسألة العلوم الإنسانيّة في العالم الإسلامي.

لقد فتح الصدر أفقًا جديدًا للبحث في ميدان الفلسفة خارج الرؤية الغربية. وهذا عكس الاتّجاه المحدث الّذي استخدم مفاهيم الفلسفة الغربية في دراسته للتراث ولتاريخ الأمة الإسلامية كما يتجلّى ذلك عند كل من طيب تيزيني والجابري وعلي أمليل وعبد الله العروي وفؤاد زكريا وعبدالرحمن بدوي، فهؤلاء المفكّرون لجأوا إلى مذاهب الفلسفة الغربية كالماركسية والوجودية والبنيوية في دراستهم للفلسفة الإسلامية ودراستهم لتاريخ الأمة الثقافي والسياسي.

لقد أعاد الصدر صياغة الفكر الإسلامي صياغة فلسفية جديدة في أفق نقدي أقوى من فلسفة كل من الغزالي وابن رشد. لاشك أن الصدر قد صاغ المفاهيم حسب متطلبات الشروط الجديدة للعقلانية. فالصدر كان واعيًا بعمق بأنه لا يمكن اليوم استخدام مفاهيم مثل العقل والنقل والاجتهاد والانحطاط والتقدّم والأمة والقوميّة خارج الإطار الفلسفي، فلا يمكن صياغة حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأمة بدون اجتهاد مفلسف. ولا يمكن اتخاذ موقف نقدي من تيارات الفكر الغربي بدون فلسفة.

على الرغم من محاولة الفكر الإسلامي الانفتاح على ثقافة العصر منذ القرن التاسع عشر، إلاّ أن المفكرين المسلمين لم يبدأوا في استيعاب الفلسفة الغربية المعاصرة إلا ابتداء من محمد إقبال. فالفكر الإسلامي مايزال لدى كثير من ممثليه يتّخذ موقفًا اندفاعيًا وانفعاليًّا تجاه الفلسفة الغربية. فلم يحاول الفكر الإسلامي اتخاذ موقف من فلسفة كل من كانط وهيجل وماركس ونيتشه وبرجسون إلا ابتداء من محمد إقبال، وهكذا فالفكر الإسلامي مايزال إلى يومنا يتجاهل أو يتغافل عن اتّجاهات ومذاهب الفلسفة الغربية، ويرجع الفضل إلى الصدر في طرحه لمشكلة العلاقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي طرحًا علميًا وفلسفيًا بعيدًا عن العاطفة العفوية والانفعال أوالتبعية

والتقليد، فالصدر قد حلل فلسفة كل من كانط وأجوست كونت وهيجل وماركس وغيرهم تحليلاً نقديًا في الشكل والمضمون، فهو لم يكتف بنقد محتوى مذاهب هؤلاء الفلاسفة على غرار ما فعله الغزالي في موقفه من الفلسفة اليونانية، حيث أنه انتقد المضمون ولكنّه تبنى منهج هذه الفلسفة (المنطق الأرسطي) .

فنقد الصدر للفلسفة الغربية هو نقد جذري شمل مضمون هذه الفلسفة، كما شمل منهجها الذي ارتكزت عليه، فالصدر قرأ الفلسفة الغربية قراءة إسلامية، فهو قد حلل فلسفة كل من هيجل وكانط وماركس من خلال معايير ومفاهيم الثقافة الإسلامية.

وهكذا يرى الصدر بأنّه إذا كانت مقولة التوفيق بين الدين والعقل – على طريقة الفلاسفة المسلمين – تختزل كلا من الدين والعقل، فإن إخضاع العقل لمتطلبات الدين يفتح أمام العقل إمكانيات لا نهاية لها، فالصدر هنا يختلف مع كانط الذي يجعل نسبية العقل نسبية محدودة بحدود الظواهر المحسوسة، ولا تتجاوزها إلى ماوراء الظواهر، في حين أن ربط العقل بالدين تنشأ عنه عقلانية نسبية منفتحة على الحركة وعلى التجاوز: تجاوز عجز العقل ونسبيته بصورة مستمرة.

إن التطلع إلى المطلق هو تعبير عن فطرة الإنسان وخلافته،

لذلك يرى الصدر أن هذا التطلع هو عنصر معرفي له أهمية كبرى في المجال الميتافيزيقي، حيث أن هذا التطلع هو الذي يجعل العقل قادرًا على تجاوز نفسه. فالعقل، من هذا المنظور، هو امتداد للبعد الغيبي في الإنسان، وليس الأمر كذلك في فلسفة كانط التي تجعل العقل حبيس المعطيات الحسيّة.

إن كانط لم يستطع تجاوز التناقض الذي طرحته فلسفته، حيث أنه يرى بأن العقل لا يستطيع أن يغوص في المجال الميتافيزيقي، فمبادئ العقل تتعدّد وظيفتها المعرفية بحدود الظواهر المحسوسة، ويرى في نفس الوقت بأن الإنسان يستطيع أن يصل إلى الميتافيزيقيا عن طريق الأخلاق. فالقول بعجز العقل ينفي، في الحقيقة، كل إمكانيّة ماعدا الإمكانيات المعرفية الأخرى كالقلب أو الحدس مثلاً، مع العلم بأن كانط لا يؤمن إلا بالعقل كأداة معرفية.

أما موقف الصدر فلا تناقض فيه. فنسبية العقل عند الصدر ليست نسبية تحديد وعجز بل هي نسبية الانفتاح على الحركة، وعلى التجاوز (تجاوز العجز)، لذلك فهي تؤهل العقل للقيام بنشاطه المعرفي في المجال الميتافيزيقي.

لقد كان الصدر واعياً بأن المشاكل والتحديّات التي تطرحها الفلسفة الغربية على الفكر الإسلامي لا يمكن التغلب عليها

بمجرد تفسير الإسلام وتأويله تأويلاً عقليًا على غرار الفلسفة الإسلامية. إن نقد الصدر لعقلانية الفلسفة الإسلامية ولعقلانية الفلسفة الغربية تمَّ من موقع عقلانية نوعية تستمد وجودها من ربط العقل بمتطلبات الدين، فالعقلانية تتحدّد في إطار علاقتها بالغيب، وبما أن الغيب يتجاوز العقل مهما كانت مفاهيمه وتصوراته فإن العقلانية كما تتجلّى في فلسفة الصدر هي عقلانية تستمد قوّتها من نسبيتها ومن تواضعها أمام الغيب .

لذلك يمكن القول بأن فلسفة الصدر يتحدّد موقعها خارج الصراع بين الواقعية والمثالية، فالغيب يتطلب البيان، أي يتطلب الدين الذي يساعد الإنسان في تطلعه نحو المطلق. هذا التطلع لا ينفي العقل، حجية العقل ثابتة شرعًا، ولكنها حجية لها حدودها في الميدان الميتافيزيقي، إن قوة عقلانية الفلسفة الصدرية تكمن في وعيها بنسبيتها أمام إطلاقية الدين، فلسفة الصدر تتحدّد معالمها في تحديد العلاقة بين التساؤلات الميتافيزيقية والأجوبة الدينية، فالصدر حاول في كل كتاباته، وحتّى في الأسس المنطقية للاستقراء الذي اعتمد فيه على المنهج التجريبي، حاول أن يبيّن عن طريق التحليل الفلسفي والعملي، قدرة الإنسان على تقبّل الغيب وتجاوز نسبية عقله.

التقريب المذهبي
في مشروع الإمام الصدر

محمد رضا النعماني *

• الخلاف الطائفي جذوره نفسية • لمعالجة هذه الحالة قام مشروع السيد الصدر على الاعتماد على المصادر السنية والشيعية معا • الشهيد الصدر: محنة العراق لا تقتصر على مذهب دون آخره كلنا نحارب تحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي • الشهيد الصدر: أنا معك يا ولدي السني بقدر ما أنا معك يا ولدي الشيعي •ما أجمل أن يخاطب المرجع جميع الأمة بروح الأبوة!! حارب عليّ من أجل الإسلام تحت لواء أبي بكر.

جذور الخلاف بين أهل السنة والشيعة تعود في جانبها الأكبر إلى عامل نفسي، والإمام الشهيد الصدر رغم قصر عمره الجهادي مارس ألوان الجهود لإزالة هذا الحاجز النفسي. هذه الممارسة نلحظها في خطابه الى العراقيين، وفي استناده الى مصادر أهل السنة الحديثية والفقهية في دراساته...

* - عالم ومجاهد عراقي .

لا نستهدف بهذا البحث إيجاد حلول ومعالجات للخلافات العقائدية والفقهية والسياسية ـ الممتدة الجذور عبر التاريخ ـ بين الفرق والمذاهب الإسلامية، من خلال مناقشة علمية وموضوعية لمختلف المواضيع والقضايا التي هي محلّ خلاف بين المسلمين، والاستدلال على ماهو حق منها والاتفاق عليه ورفض ماعداه.

إن فكرة من هذا القبيل لو أتيحت لها الظروف الموضوعية والأجواء المناسبة لأمكنها أن تزيل الكثير من الخلافات المستعصية بين المذاهب الإسلامية، وهو الاتجاه الذي تبنّاه الامام السيد عبد الحسين شرف الدين(قدس سره) في محاوراته ومؤلفاته كالمراجعات، والنص والاجتهاد، ومسائل فقهية، والتي حاول فيها معالجة المسائل الخلافية العقائدية والفقهية والتاريخية معتمداً في ذلك على صحاح المذاهب الإسلامية لإثبات أن ما يعتقده أتباع مدرسة أهل البيت له جذور قوية ومتينة في أصول ومصادر المذاهب الإسلامية الأخرى.

ويجب أن نعترف أن أساليب المعالجة والنقاش حتى وإن اتسمت بأعلى درجات الموضوعية والصراحة لا تنتهي إلى الإيجابية المطلوبة، لأن جذور الخلاف في أكثر الاحيان جذور نفسية، والحواجز تأخذ نفس الطابع. وفي ظل هذا الوضع لا يمكن الوصول الى مامن شأنه تمهيد الأجواء لبناء الأمة الواحدة المتفقة على الحد المطلوب في رؤيتها العقائدية والفقهية والتاريخية.

ومع ذلك لايجوز أن تتحطّم آمالنا وطموحاتنا في توحيد أمة التوحيد على صخرة اليأس، وأن لا نسعى إلى التمسك بحبال الإيمان باللّه ورسوله وكتابه في جوّ نفسيّ نقيّ، مصمّمين فيه على أن مايمكن أن نتفق عليه من خلال البحث العلمي والمعالجة الموضوعية يجب أن نؤمن ونعمل به، حتى وإن خالف قناعاتنا الموروثة. وما لا يمكن أن نتفق عليه لايجوز أن نجعل منه عقبة في طريق بناء الوحدة الإسلامية في ظل خاتمة الرسالات والنبوات.

إن من الحقائق التي يجب أن لا نغفلها، هي أن أحد أهم جوانب مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية جانب نفسي موروث تلقّته الأجيال من دون دراسة أو مناقشة، تتيحان التحرّر منه، والانطلاق من بوتقته نحو جوّ من التأمل والمعالجة الموضوعية، الأمر الذي أدى الى تراكم الكثير من الحساسيات التي شكّلت عقبة كبيرة في طريق محاولات التقريب.

ويجب أن لا نغفل أن السياسة لعبت دوراً كبيراً ـ على امتداد التاريخ ـ في تعميق الفجوة النفسية بين أتباع تلك المذاهب، فتارة تصوّره على أنه خطر يستهدف القضاء على أتباع هذا المذهب أو ذاك، وأخرى على أنه عقيدة لا يجوز التنازل عنها وهكذا.

ولو تصفّحنا أوراق التاريخ لوجدنا أن الكثير من الدماء سفكت بسبب سياسات الحكّام، في إطار تعميق الخلافات المذهبية، وإخراجها من إطارها العلمي والفقهي، الى الوضع الأصعب

المتمثل بالحواجز النفسية والروحية، وتسخيرها لمصحة الحكام، وليس لمصلحة الإسلام والأمة الإسلامية.

وفي هذا البحث المقتضب أحاول أن أستعرض أهم الخطوات التقريبية التي خطاها الإمام الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه). ومع أن يد الإجرام حرمت منه الأمة في وقت مبكر جداً، فلم يتح له أن يمارس دوره الكامل في تطبيق أفكاره ومشاريعه التي منها توحيد الأمة وتجميع صفوفها، فإن نزراً يسيراً قد عرفناه عن تلك الأفكار والمواقف والتصورات أعطانا رؤية واضحة عن هذا الجانب في موقفه من عملية التوحيد والتمسّك بعرى الإسلام والإيمان.

ويجب أن نؤكد مرة أخرى على أنه يجب اعتبار حركة الإمام الشهيد الصدر في هذا المجال حركة تتّسم بأهمية خاصة، بحيث يحق لها أن تتصدّر الخطوات الإيجابية الأخرى التي بدرت من علماء المسلمين الواعين من السنة والشيعة، وذلك لما يتمتع به الإمام الشهيد الصدر من موقع لدى الشيعة، ولما يمثل من شموخ وتبحّر في عالم المعرفة الإسلامية والبشرية، وكذلك الظروف السياسية والاجتماعية وأجواء الحوزات والمرجعيات التي قد لا تتقبّل انفتاحًا كبيرًا بهذه الدرجة .

وحينئذ يجب أن ندخل هذه الحقائق في حسابنا عند دراستنا لخطواته التقريبية الجادة والهادفة بين المسلمين.

إن أهم خطواته العملية والتي تعتبر رائدة في هذا المجال

يمكن تلخيصها بمايلي:

أولاً ـ من الملاحظ أن الإمام الشهيد الصدر لم يقتصر في مؤلّفاته على الكتب الشيعية فقط بل اعتمد كذلك على كتب أهل السنة ومصادرهم معتبراً «الفقه الإسلامي» كياناً واحداً مع ما فيه من تعدد الاجتهاد والمذاهب، فمثلاً اعتمد في كتاب «اقتصادنا» في محاولته لبلورة النظام الاقتصادي الإسلامي على مجموعة من المصادر الإسلامية السنية، منها: كتاب الأحكام السلطانية للماوردي، وكتاب المغني لابن قدامة، وكتاب الأُم للشافعي، وكتاب المحلّى لابن حزم، والمدونة الكبرى، مواهب الجليل للحطاب، ونهاية المحتاج للرملي، والمبسوط للسرخسي، والفقه على المذاهب الأربعة، وغيرها من المصادر السنية.

لم يكن (رحمه الله) بصدد نقاش الآراء الفقهية للمذاهب الإسلامية، وإنما كان بصدد اكتشاف هيكلية النظام الاقتصادي الإسلامي.

مع ذلك فنحن لا ننكر أن المصادر وطرق الاستنباط للأحكام الشرعية تختلف بين مدرسة أهل البيت وبين المذاهب الإسلامية الأخرى، سواء في القيمة العلمية للرأي الفقهي، أو في قيمة وحجة المصادر الروائية والفقهية، ومع ذلك فإننا على صعيد الواقع ننتهي الى نتيجة واحدة.

إن هذا اللون من التفاعل الإيجابي والتعامل العلمي يجعل

السني يشعر بأنّ لرأيه الفقهي أهمية وموقعًا عند أخيه الشيعي، وكذلك العكس. فيؤدي في النتيجة الى روح التفاعل والانفتاح ويعزز روابط الأخوة، ويصدّع من قوة الحواجز النفسية.

ثانيًا ـ أصدر الإمام الشهيد الصدر(رضي الله عنه) بياناً وجّهه الى الشعب العراقي (عام ١٩٧٩م) وكان وقتها محتجزاً من قبل السلطة وذلك قبل استشهاده بعدة أشهر، حمل العبارات التالية:

«أيها الشعب العظيم، إني أخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية، بكل فئاتك وطوائفك، بعربك وأكرادك، بسنتك وشيعتك، لأن المحنة لا تخص مذهباً دون آخر».

«وإني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء، حين دافعت عن الرسالة التي توحّدهم جميعًا، وعن العقيدة التي تضمّهم جميعًا».

وفي مقطع آخر يقول: «فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي. إن الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا الى أبنائنا البررة من السنة أن المسألة مسألة شيعة وسنة، ليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضدّ العدو المشترك.

وأريد أن أقولها لكم يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر:

إن المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني، إن الحكم السني الذي مثّله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل عليٌّ السيف للدفاع عنه إذ حارب جندياً في حروب الردّة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر، وكلّنا نحارب عن راية الإسلام، وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي.

إن الحكم السني الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة ـ قبل نصف قرن ـ بوجوب الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصًا من أجل الحفاظ على راية الإسلام، ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام».

ومما لا ريب فيه أن هذه الوثيقة تعتبر من أهم الوثائق التي يمكن أن تساهم في معالجة الحواجز النفسية بين أبناء الأمة الإسلامية، وذلك لأن السيد الشهيد الصدر حينما أصدر هذا البيان كان قد صمّم على الاستشهاد في سبيل اللّه، لإيمانه بأنّ المرحلة الجهادية والسياسية تتطلب ذلك، وقد فصّلنا ذلك في كتاب «سنوات المحنة وأيام الحصار» الأمر الذي يجعل كل باحث موضوعي يدرك أن الإمام الصدر لم يقصد المجاملة أو المحاباة، بل كان يهدف حقًا الى معالجة مشكلة الفُرقة والتشتت من جانب، وتوحيد الأمة في إطار الإسلام من جانب آخر.

وإذا لاحظنا جذور أسباب المشكلة نجد أن أهمها هو الموقف من

الخلفاء الراشدين، فالمسلم السني يرى فيهم مثلاً ونموذجًا جسّد القيم والمبادئ الإسلامية، ويرى الشيعي أن اجتهادات بعض الخلفاء أو مواقفهم تنافي الخط الإسلامي الذي يعتقد بصحته ويتمسّك به، على أساس أنه الخط الذي يمثل المسيرة النبوية. يرى مثلاً أن كل اجتهاد في مقابل النص على إمامة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) اجتهاد مرفوض لا يحمل قيمة دينية، في حين يرى السني أنه جهد علمي اجتهادي للفقيه فإن أصاب المجتهد فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

وعلى هذا الأساس ـ وهو الجزء الأكبر من العلة ـ بدأت الحواجز النفسية تتصاعد وتتعمق مدعومة بجهود الحكّام الذين عمّقوها الى أبعد الحدود، وبدأت تنخر في صميم الكيان الإسلامي العام.

وما من شك أن علاج هذه القضية يحتاج الى زمن طويل وجهود مكثّفة من الطرفين، إلا أن هذا لا يمنع من التوافق على احترام كلا الطرفين لعقيدة الآخر وآرائه السياسية وغيرها، والوصول ولو إلى الحد الأدنى من الوفاق والتوحّد. وفي هذا الضوء أعتقد أن الإمام الشهيد الصدر سار بهذا الاتجاه، فلم يجعل الاختلافات المذهبية مبررًا لعدم التوحّد، فنراه قد اعتبر نفسه وكيانه ملكًا للمسلم السني كما هو للمسلم الشيعي فيقول: «وإني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء».

ويقول: «فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي».

ومما لاشك فيه أن لهذا الخطاب الأبوي والأخوي أثرًا إيجابيًا فعّالا في تمزيق الحاجز النفسي وتبديد قوته، فما أجمل أن تجد الأمة ـ بمختلف مذاهبها ـ قائداً شيعيًا بل علمًا من أعلامها يخاطب الجميع بروح الأبوة والأخوة فيقول: أنا لكم جميعًا.

وذكر ثانياً أن الخلاف العقائدي والسياسي في إطار الدين لايجوز أن يحول دون التعاون والتكاتف في سبيل خدمة الإسلام والدفاع عنه. واستشهد لذلك بمثالين:

الأول ما كان في صدر الإسلام حيث قال: «حمل علي السيف للدفاع عنه، إذ حارب جنديًا في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر».

وذكر مثالاً آخر من التاريخ الحديث وذلك حينما تعرّض الحكم العثماني لضربات الإنجليز، فوقف علماء الشيعة الى جانب الحكم العثماني وأفتوا بوجوب الدفاع عنه، لأنه رافع لراية الإسلام فقال: «إن الحكم السني الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصًا من أجل الحفاظ على راية الإسلام » لماذا؟ لأن الهدف «أن نحارب عن راية الإسلام وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي».

والموضوعية تقتضي أن نعترف أن هذا الخطاب المفتوح والصريح لا يحل مشكلة الخلافات المذهبية بين المسلمين، ولكنه يشكل البوابة الكبيرة التي يمكن الدخول من خلالها والقضاء على المشكلة النفسية، وفتح آفاق الحوار الموضوعي للاتفاق ولو على الحد الأدنى من الوفاق والائتلاف.

ثم بيّن (رضوان اللّه عليه) أن من أهم أسباب تعميق الخلافات وتهويلها هو الاتجاهات السياسية والقادة الذين تحكمهم مصالحهم الخاصة فقال: «إن الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا الى أبنائنا البررة من السنة أن المسألة مسألة شيعة وسنة ليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضدّ العدو المشترك، وأريد أن أقولها لكم يا أبناء علي والحسين، وأبناء أبي بكر وعمر: إن المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني».

ومن المؤكّد أن الإمام الشهيد الصدر قد لا يؤمن بالكثير من اجتهادات الصحابة أو مواقفهم من مختلف القضايا، ويعتبرها اجتهاداً في مقابل النص، والتي منها:الموقف من قضية النص على إمامة أمير المؤمنين علي(عليه السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، فهو يعتقد أنه الوريث الحقيقي للنبي، والحارس الأمين لمسيرة الإسلام من بعده، إلا أن هذا الاعتقاد لم يجعله في موقف الرافض للكيان الآخر، ولم ير في ذلك مبررًا لعدم توحّد الأمة تحت راية "لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه" العقيدة التي أجمعت الأمة على الإيمان بها.

أخلاقية الاقتصاد الإسلامي
في فكر الشهيد الصدر

• الاقتصاد الإسلامي في فكر الشهيد الصدر يقوم على قاعدة أخلاقية • يجب أن ينبعث شعور التكامل من وجدان الإنسان المسلم وينطلق من مشاعره • إن السلبية التي تسود ذهنية المسلم اليوم تعود إلى أن الأرض قُدمت له بشكل لا يتلائم مع إطار أخلاقيته • تطبيق الاقتصاد الإسلامي يبدأ بتهيئة التربة الصالحة له • الدين هو العلاج الوحيد لما ينجم عن الفطرة من مشاكل • يرى الإسلام أن الطبيعة ليست هي سبب جوع الفقراء بل بسبب سوء التوزيع وسوء العلاقات.

من الصفات المهمة للاقتصاد الإسلامي في رؤية الشهيد الصدر هي الأخلاقية:

وتتمثل هذه الأخلاقية في الغاية والطريقة.

أ- الأخلاقية من ناحية الغاية: إن غاية الاقتصاد الإسلامي لا تنبع من واقع خارج حدود الإنسان، فالماركسية في تحديدها لحق العامل وللضمان الاجتماعي تنطلق من واقع وسائل الإنتاج وتطورها، وتنظر الى الواقع المادي للإنسان كمحدد للشكل الاقتصادي الذي يسود، بينما ينطلق الإسلام في تحديده للقيم العملية التي يجب أن تسود من ناحية خلقية.

ب ـ الأخلاقية من ناحية الطريقة: إن الإسلام في طريقته يهتم بالعامل النفسي ويجعل الطريقة منسجمة مع أحاسيس ومشاعر الإنسان ومتفاعلة معها.. وعملية التكافل الاجتماعي قد تتمّ بأخذ الضرائب من الأغنياء عن طريق القوة وإعطائها الى الفقراء، ولكن هذه الطريقة ليست في نظر الإسلام صحيحة، وإن كانت تؤدي الجانب الموضوعي من الغاية وهي إشباع حاجة الفقراء ، بل يجب أن تكون الطريقة أخلاقية، يجب أن ينبعث شعور التكامل من وجدان الإنسان المسلم وينطلق من مشاعره.

وهذا الاهتمام الكبير من قبل الإسلام بالأخلاقية يرينا مدى الاهتمام بالصياغة النفسية والروحية والخلقية للإنسان في المجتمع الإسلامي، وبالتالي مدى الاهتمام بالتحديد الذاتي كمنطلق لتحقيق التوازن والتكامل الاجتماعي.

الاقتصاد الإسلامي يقوم على أرضية فكرية وخلقية

قبل أن أتكلم عن الأرضية الإسلامية أوضّح علاقة الأرضية بالمذهب والصلة المتبادلة بينهما. إن أي تخطيط اجتماعي أو اقتصادي لا يمكن أن يكتب له النجاح إلاّ بعد أن يكوّن إطارًا يستطيع أن يدمج الأمة ضمنه، ولا يمكن لأي منهج أن يؤدي دوره الفعال الاّ إذا استطاع أن يحرك الأمة، ويفجّر طاقاتها بأن يبعث فيها حركة دائبة لا تعرف الملل.

ولو ألقينا نظرة على المناهج السائدة اليوم في أوربا لرأيناها تلتقي والأرضية الأوربية، وتلتئم ومشاعر الإنسان الأوربي، فإنسان أوربا يعيش أخلاقية تتكون من مزيج من إيمان عميق بالحرية، ونظرة متأصلة في الأرض لا ترتفع الى السماء، وشعور واضح بالفردية والأنانية، وتمثل هذا جليًا في كل تطلعات الإنسان الأوربي العلمية والفكرية، حينما ذهب يبحث عن أصله بين فصائل الحيوان، وبدأ يفسر سير البشرية والصرح الإنساني كله على أساس الصراع والتناقض بين القوى المنتجة، وحتى إله المسيحية أنزله من السماء الى الأرض وجسّده بهيئة كائن أرضي.

ومن هذا المزيج انطلقت فكرة الاقتصاد الحر التي تمثل الفردية الشخصية، وفكرة الاقتصاد الاشتراكي التي تمثل الفردية الطبقية، وفكرة الوجودية التي تمثل قمة شعور الإنسان الأوربي بالحرية.. من هنا لا نستغرب حينما نرى الإنسان الأوربي في ظل هذه الأنظمة بدأ بتفاعل إيجابي مع المادة.. يستغل خيراتها ويكتشف أسرارها.

ولم يكن غريبًا أيضا أن نرى هذه النهضة العلمية في أوربا.. وحركة الإنسان الأوربي الدائبة في تفاعله مع وسطه المادي، لأن المنهج الذي يعمل ضمنه يمثل إطار تفكيره ويعبر عن مزيج أخلاقيته. ومن هنا أيضا لا نستغرب حينما نرى الإنسان المسلم تسود ذهنه نظرات سلبية الى الحياة المادية تتمثل في الزهد تارة

وفي القناعة تارة أخرى، ومؤدية الى العزلة والانطواء.

إن السلبية التي تسود ذهنية المسلم اليوم لم تنبع من الأخلاقية التي يعيشها، بل نتجت بعد أن قُدمت له الأرض بشكل لايتلائم والإطار الخلقي الذي يعيشه.

الإنسان المسلم يحتاج الى منهج تلبس الأرض فيه لباس السماء، ويتعامل مع محيطه المادي وفق مقياس الوجوب والاستحباب، وعند ذاك سوف يندفع في حركة لا حدود لها، وسوف تتفجر الطاقات الخلاقة في نفسه، وسوف يعمر الأرض لا ماديًا فحسب، بل يتغلغل الى داخل النفس الإنسانية مجتثًا منها كل دوافع الحقد والظلم، مكونًا المجتمع الذي تطمح كل الإنسانية اليوم إليه، وإن غفلت عنه، ذلكم هو المجتمع الإسلامي.

إن الأرضية الإسلامية تتكون من عناصر ثلاثة هي:

العقيدة والمفاهيم والعواطف.

فالعقيدة تحدد نظرة الإنسان الى الكون وتعطيه التفسير الكامل عن الوجود. وعلى ضوء هذه العقيدة تنشأ عند الإنسان المسلم نظرات معينة الى الأشياء، وتحديدات ثابتة لها، متمثلة في (المفاهيم). وهذه المفاهيم تبعث في نفس الإنسان أحاسيس ومشاعر معينة يظهر فعلها وعطاؤها في الخارج متمثلة في (العواطف)، التي تكون عنصرًا مهمًا من عناصر التربة التي يعيش

عليها النظام الاقتصادي الإسلامي. ومن هنا نعلم أن الاقتصاد الإسلامي لا يمكن أن يخطط له مركزيًا في ظروف كالظروف التي نعيشها اليوم من أجل تطبيقه كما يفكر المتحمسون للاقتصاد الإسلامي. إن تطبيق الاقتصاد الإسلامي يبدأ بتهيئة التربة الصالحة له، يبدأ بتربية وفق عقيدة الإسلام وبث المفاهيم المنبثقة من هذه العقيدة كي تتفجر في نفس المسلم المعاصر الأحاسيس والمشاعر التي يستطيع أن يحتضن بها الاقتصاد الإسلامي ويتطلع الى مجتمع أفضل هو المجتمع الإسلامي.

الدافع الذاتي في إطار الدين

إن الدافع الذاتي نزعة متأصلة في النفس الإنسانية. والإنسان في كل تطلعاته وتصرفاته ينطلق من هذا الدافع ، لذا كان سلوك الإنسان وأخلاقيته مظهراً لهذا الدافع، ويتكيف الجانب الخلقي والجانب السلوكي للإنسان تبعًا لتوجيه هذا الدافع وتكييفه.

ويشكل الدافع الذاتي عقبة كبرى أمام أي تخطيط اجتماعي، بل يمكن القول بأن هذا الدافع هو مثار المشكلة الاجتماعية، وبسبب اصطدام النزعة الذاتية بالمصلحة الاجتماعية فانّ كل تخطيط يضمن مصالح الفرد الذاتية يصطدم بالمصلحة الاجتماعية، وكل تخطيط يهدف مصلحة المجتمع يتعارض مع الدافع الذاتي للفرد.

ولما كانت هذه النزعة فطرية ومتأصلة فلا يمكن القضاء عليها أولا.. ومن ثَمّ لا يستطيع أي جهاز اجتماعي كالجهاز الحكومي مثلا أن يخطط للقضاء على هذه النزعة، لأن هذا الجهاز جزء من المجتمع ويسري عليه ما يسري على المجتمع من نزعات لدوافع الذاتية.

وبذا فسوف تبقى المشكلة معلقة والصراع محتدمًا، مازالت المسألة في مستوى تخطيط أرضي ومنهج بشري.

وهنا يأتي دور الدين باعتباره العلاج الوحيد لما ينجم عن الفطرة من مشاكل، وباعتبار أن الدين جاء ليكون متممًا للفطرة الإنسانية السليمة لتوجيه الإنسان الى طريق كماله.

فالدين يقرّ بوجود الدافع الذاتي، ولكنه يوجهه توجيهاً يرتفع عن مستوى الأرض ويربطه بالعالم الآخر.

فالإنسان المسلم بحكم تربيته يفكر بمجتمعه، ويعطي من نفسه الكثير لصالح المجموع.. ويضحّي بماله ودمه أحيانا في سبيل المصلحة الاجتماعية ، كل هذا يقدمه الإنسان المسلم منتظراً العوض المضاعف في الدار الآخرة.

فالمصلحة الاجتماعية مضمونة، والمصلحة الفردية مضمونة أيضًا. ولا يمكن لمصلحة ذاتية للإنسان أن تكون إيجابية ومعطاءة في أي إطار كالإطار الذي يصوغه لها الدين وكالمنهج الذي يقدمه.

والقرآن الكريم في دفعه للإنسان المسلم يكوّن له هذه النظرة عن مصالحه وأرباحه فيقول: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٢٠ -١٢١)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فصلت:٤٦).

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (الزلزلة:٦ -٨). من هنا نعرف معنى دين الفطرة ومعنى القيمومة التي وصف الله تعالى بها رسالته: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:٣٠)

التفسير الاقتصادي للسلوك والأفكار

راج في أدبيات اليسار تفسير كل مظاهر السلوك تفسيراً اقتصاديًا وتصنيف الناس تصنيفاً طبقيًا والحكم على اتجاهات هذه الفئة وتلك الجماعة من خلال مستواهم المعاشي. السيد

الصدر بيّن خطأ هذا الاتجاه بنقده العلمي لنظرية المادية التاريخية، كما استعرض بعض النماذج من الأهداف التي دعا إليها الإسلام، والتي يجب أن تظهر في «عرف الماركسية» عند ظهور الطبقة البرجوازية وبعد انتشار الصناعة:

١ـ دعا الإسلام الى المساواة ونبذ كل تفرقة بسبب اللون أو العنصر أو اللغة فـ «الناس سواسية كأسنان المشط» في العرف الإسلامي، و«لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». ولم يكن هذا بالمستوى النظري فقط وإنما استطاع أن يعكس هذه المفاهيم على الواقع الاجتماعي ويجسّدها في العلاقات الاجتماعية. علما بأن الماركسية تقول بأن عَلَم المساواة يجب أن ترفعه الطبقة البرجوازية التي تظهر في المجتمع الصناعي.

٢ -تحدى الإسلام المادية التاريخية بدعوته إلى مجتمع عالمي يجمع الإنسانية كلها على صعيد واحد. فمن بين تلك الحياة العشائرية البدائية ظهرت هذه الفكرة، ومن بين تلك العقول الضيقة الأفق شعّت هذه الدعوة، فأية وسيلة للإنتاج طورت هذا التفكير، وأية آلة غيّرت نظرة أقوام لا يدركون المجتمع القومي فأصبحوا في فترة قصيرة دعاة مجتمع عالمي؟!

٣ -ومرة أخرى يتحدّى الإسلام منطق التاريخ الماركسي حين يقيم علاقات اقتصادية لا يمكن أن تقوم في حساب الاقتصاد

الاشتراكي إلاّ بعد بلوغ المجتمع درجة من المرحلة الصناعية والآلية في الإنتاج، فقلص الملكية الفردية وحدّد مجالها، وأعطاها مفاهيم وقيم معينة لتهذيبها، ووضع ضمانات التوازن وعدالة التوزيع.. في الوقت الذي يقول منطق القرن الثامن عشر على لسان آرثر يونج «لا يجهلن سوى الأبله أن الطبقات الدنيا يجب أن تظل فقيرة، وإلاّ لن تكون مجتهدة»، ويقول منطق القرن التاسع عشر على لسان مالثوس: «ليس للذي يولد في عالم تم امتلاكه حق في الغذاء إذا ما تعذّر عليه الظفر بوسائل عيشه عن طريق عمله أو أهله، فهو طفيلي لا لزوم لوجوده، إذ ليس له على خوان الطبيعة مكان، والطبيعة تأمره بالذهاب ولا تتوانى في تنفيذ أوامرها» بينما يقول الإسلام معلناً مبدأ الضمان الاجتماعي:

«من ترك ضياعًا فعليّ ضياعه، ومن ترك دَينًا فعليّ ديَنه».

ويعلن الإسلام بأن الطبيعة ليست هي سبب جوع الفقراء، بل هو بسبب سوء التوزيع وفساد العلاقات فيقول الحديث: «ماجاع فقير إلا بما مُتع غني» ومن كل هذا نستنتج بأن العلاقات الاقتصادية لم تقم على أساس تطور وسائل الإنتاج، ولا على أي أساس مادي آخر، بل إنها قائمة على أسس فكرية وروحية تمتزجان فتكونان أخلاقية معينة، وهذه الأخلاقية هي التي تحدد العلاقات الاقتصادية وترسم طريق العدالة الاجتماعية.

مشكلة التوزيع في نظر الإسلام

إن لكل مذهب اقتصادي نظرة معينة في التوزيع تنسجم والإطار العام للمذهب.فالشيوعية في معيارها للتوزيع تعتمد على قاعدة: من كل وفقًا لطاقته ولكل وفقًا لحاجته. والنظرة الاشتراكية تقول: من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله. والاشتراكية بعد الماركسية تعتقد بأن التوزيع يتحدد وفقًا لحالة الصراع الطبقي في المجتمع. فطبقة العبيد التي كانت تعيش تحت سياط السادة كان وضعها شيئًا سائغًا في ظروف تتطلب هذا النوع من الصراع بين السادة والعبيد.

ويقف الإسلام موقف المعارض لهذه النظرة، ويثبت مسألة التوزيع على أساس خلقي.

فالطبقة التي حُرمت من العمل بسبب ظروف جسمية وفكرية يكون مصيرها الحرمان في منطق الاشتراكية، بينما يقرر الإسلام بقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات:١٩)، فهذه الفئة هي جزء من المجتمع الإنساني ولابد للمجتمع السعيد الذي يشيد دعائمه الإسلام أن يقلّص آلام الحرمان إلى أبعد حد ممكن. وعلى هذا الأساس الخلقي لا تحرم هذه الفئة من التكافل والضمان لمجرد أنها محتاجة لذلك. ومن هنا نعرف أن المشكلة الاقتصادية في نظر الإسلام هي أخلاقية صرفة، فالنظرة الماركسية تذهب إلى أن المشكلة الاقتصادية ناتجة عن التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع، بينما يذهب الإسلام إلى أن المشكلة الاقتصادية نابعة من الإنسان نفسه حين يقرر في الآيات

الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الأِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٢ – ٣٤).

فهذا الكون الفسيح كله مسخر لمنفعة الإنسان ولمصلحته ولكنه ظلوم كفار كما تقرر الآية الكريمة.

فالظلم والكفران هما سبب المشكلة الاقتصادية، فالظلم يتمثل في سوء التوزيع ويتمثل الكفران في إهمال الإنسان لاستثمار معطيات الطبيعة.

فالإنسان إذن هو سبب المشكلة، وهو القادر على حل المشكلة حينما يقيم علاقات مع هذا الكون تسمو على العلاقات المادية ويعيش الوسط الذي يحيطه وفق مقاييس فكرية وروحية.

أخلاقية الملكية في الاقتصاد الإسلامي

إن الملكية في الإسلام تُفسر على الطريقة المذهبية على أساس العمل وصلة العامل بنتاج عمله، وهذا مالسنا بصدده، إذ نحن بصدد التفسير الخلقي للملكية الذي يحدده مفهوم الخلافة، واعتبار أن الإنسان خليفة ووكيل في هذه الأرض، هذا المفهوم الذي يؤطر الملكية بالإطار العام لصياغة الإسلام للفرد في تحديد مشاعره ونشاطه.

ولهذا التفسير الخلقي الذي يربي الإسلام أفراده وفقاً لمقاييسه

معطياته الكبيرة وأهمها هي:

١. إن مفهوم الخلافة يقيّد الإنسان المسلم ويشده إلى تعليمات مَنْ وهبه هذه الخلافة، قال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:٧).

وتنمو وفق هذا المفهوم الرقابة غير المنظورة في نفس الإنسان المسلم، لأنه يشعر دائماً بأنه مراقب في كل تصرفاته وأعماله فيقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:١٤).

٢ - إن الإنسان المسلم على ضوء هذا المفهوم سوف يكون أمام رقابة أخرى هي رقابة المجتمع، فالخلافة في الأصل للجماعة، وعليها تقع مسؤولية حماية المال، لأنها وكيلة عليه، فلا يجوز أن تسمح للسفهاء أن يتملكوا شيئاً، قال تعالى: ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ (النساء:٥). فالأموال وإن كانت للأفراد بالملكية الخاصة، لكن القرآن عبّر عنها بكلمة ﴿.. أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ...﴾ (النساء:٥) إشارة إلى المسؤولية الملقاة على عاتق الجماعة باعتبارها هي التي تتحمّل أعباء الخلافة.

٣ - وعلى ضوء مفهوم الخلافة فقد جُرّدت الملكية من الامتيازات المعنوية التي رافقتها واقترنت بوجودها، فليس هناك أي امتياز معنوي للغني على الفقير، ولا يجوز اقتران الملكية بأي نوع من القيمة الاجتماعية في العلاقات المتبادلة، فقد جاء في

الحديث الشريف عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «من لقي فقيراً مسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله عزوجل يوم القيامة وهو عليه غضبان».

وندّد القرآن الكريم بهذه المقاييس التي تعتبر الثروة هي التي تطبع نوعية العلاقات والمعاملات الاجتماعية فيقول تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى ،وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (عبس:١ ـ١٠).

وهكذا تذوب كل هذه الامتيازات على ضوء اعتبار أن الملكية خلافة لها مسؤوليتها ووظيفتها، لاحقاً ذاتيًا.

٤ - تتحول الملكية وفق هذا المفهوم من اعتبارها غاية إلى كونها مجرد وسيلة، إذ إن الإنسان الذي اندمج كيانه روحيًا ونفسيًا مع الإسلام ينظر إلى الملكية بوصفها وسيلة تحقق الهدف من الخلافة، وإشباع الحاجات الإنسانية المتنوعة. فيقرر الرسول الكريم(ص) «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأبقيت» والمال بهذا المنظار لا يكون تجميعًا وتكديسًا شَرِهًا لا يرتوي ولا يشبع.

تلك هي الصياغة الروحية والخلقية للملكية في الإسلام التي تكمل الصياغة المذهبية للملكية فتشكلان معا علاقة الإنسان بما يملك، علاقة سامية ذات نتاج ثرّ إيجابي معطاء.

علاقة الإنسان بالطبيعة وبأخيه في فكر الشهيد الصدر

عبدالإله المسلم*

• المشكلة في علاقة الإنسان بالطبيعة هي في رأي الشهيد الصدر تتمثل في حاجات البشر وتأبّي الطبيعة عن الاستجابة لإشباع هذه الحاجات • التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة يحلّ هذه المشكلة • مشكلة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان تتمثل في التناقض بين القوي والضعيف • الشهيد الصدر أبدع في تحليل الطوائف الاجتماعية بالمجتمع الفرعوني • يظل الصدر شخصية تتصاعد في ذكائها ومعطياتها المعرفية إلى درجة النبوغ بل العبقرية التي لا يسمح بها الزمن إلاّ نادرا

في إطار علاقة الإنسان مع الطبيعة يقرّر الشهيد الصدر على ضوء خبرته الاجتماعية بأن ثمة سنة تاريخية ثابتة هي «التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة»، وأن المشكلة التي تواجهها البشرية في علاقتها مع الطبيعة تتمثل في التناقض بين حاجات البشر

* - باحث عراقي.

وبين تأبّي الطبيعة عن الاستجابة لإشباعها، حيث إن القانون المذكور يحلّ التناقض بينهما من خلال التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة، فبقدر ما تكتسب البشرية خبرة بالطبيعة تسيطر عليها «وحيث إن كلّ خبرة هي تتولد في هذا الحقل عادة من الممارسة، وكلّ ممارسة تولّد بدورها خبرة، لهذا كان قانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة قانونًا موضوعيًا يكفل حلّ هذا التناقض». هنا، التمس الشهيد الصدر دليلاً قرآنيًا كريمًا للحلّ المذكور فمثلاً في آية: ﴿وآتاكم من كلّ ما سألتموه..﴾ (إبراهيم/ ٣٤). بصفتها تمثل «الطلب التكويني الذي يحقّق باستمرار التطبيقات التاريخية لقانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة».

وأما علاقة الإنسان مع أخيه، فتواجه بدورها مشكلة هي التناقض الاجتماعي بينهما، حيث يقرّر الشهيد الصدر بأن التناقض يتمثل مابين القوي والضعيف، وهو تناقض ينبع من التناقض داخل الإنسان: بين حفنة التراب والروح، فما لم تنتصر الروح فلا حلّ للمشكلة. ويقرّر الشهيد الصدر بأن الإسلام هو الرسالة الوحيدة التي تكفلت بالحلّ حيث طالبت بتصفية التناقض الداخلي ليسحب أثره على التناقض الاجتماعي. هنا يقطع الشهيد الصدر رحلة طويلة في مناقشة بعض الاتجاهات الأرضية، خاصة الاتجاه الماركسي في ذهابه إلى أن المشكلة هي التناقض الطبقي بين مالكي وسائل الإنتاج وبين عدم مالكيها،

ويردّ ذلك من خلال الواقع التاريخي للدول الرأسمالية واحتوائها العمّال إلى جانبهم، واشتراكهما جميعًا في نهاية المطاف في استغلال شعوب العالم الثالث، منتهيًا من ذلك إلى أن التناقض هو داخل الإنسان وليس بمعناه الماركسي.

بعد ذلك، يتجه الشهيد الصدر إلى توضيح التأثير المتبادل بين علاقات الإنسان مع الطبيعة وأخيه من خلال التوكؤ على النص القرآني الكريم، مبيّناً كلاً من التأثرين الطردي والعكسي في العلاقة بينهما. فبالنسبة إلى أثر علاقة الإنسان مع الطبيعة وانسحابها على الآخر، يقرّر الباحث بأنه كلما ازدادت سيطرة الإنسان على الطبيعة، زاد استغلاله لأخيه الإنسان: ﴿.. إن الإنسان ليطغى﴾ (العلق/ ٦) ... وأما بالنسبة إلى الخطّ الآخر من العلاقة، فانه بقدر ما تتحكم العدالة بين الإنسان وأخيه، تنسحب على علاقته مع الطبيعة، فتزدهر الطبيعة حينئذ: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ﴾ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراةَ والإنجيلَ... لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم..﴾ (المائدة/ ٦٦).

إلى هنا يكون الشهيد الصدر قد أنهى حديثه عن عناصر المجتمع في القرآن الكريم من خلال تحليله وتفسيره للعناصر التالية: الطبيعة، الإنسان، العلاقة بينهما، منتهياً من ذلك إلى المقارنة بين التصور القرآني والأرضي ، أو بين مجتمع العدل

ومجتمع الظلم، فالأول يحقّق «الازدهار في علاقات الإنسان مع الطبيعة» والآخر «يؤدي إلى انحسار تلك العلاقات»، وهو أمر – يقرّر الشهيد الصدر – لا يشكل ظاهرة تنتسب إلى الغيب فحسب، بل تشكل سنة تاريخية أيضاً، لماذا؟ «لأن مجتمع الظلم.. مجتمع ممزق ، مشتت، الفرعونية على مرّ التأريخ حينما تتحكم في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان تستهدف تمزيق طاقات المجتمع، بينما المثل الأعلى يوحّد الجامعة البشرية ويلغي كلّ الفوارق... يصهر البشرية كلّها في وحدة متكافئة، لا يوجد ما يميز بعضها عن بعض، لا من دم ولا من جنس ولا من قومية ولا من حدود جغرافية أو طبقية». وفي ضوء هذه الفارقية بينهما، يقدم الشهيد الصدر تحليلاً تاريخيًا لمجتمع الظلم يعتمد من خلاله على ظاهرة «تجزئة» المجتمع ، مقسمًا إيّاه ستة أقسام، تعرضها خاطفًا مع مناقشة بعض التصورات حيالها.

١. الجماعة الأولى : ظالمة ومستضعفة في آن واحد، وهم «أعوان الظلمة» حيث يدعمون السلطة فتنسحب عليهم سمة «الظلم» ويخضعون لفرعون فتنسحب عليهم سمة الاستضعاف. وقد استشهد الشهيد الصدر بالآية الكريمة: ﴿... ولو ترى إذ الظالمون موقوفونَ عند ربهم يرجعُ بعضُهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين﴾ (سبأ/ ٣١).

٢ - الجماعة الثانية: هم المتزلفون الذين لا يمارسون الظلم

مباشرة ، ولكنهم يزينون لفرعون عمله. والشهيد الصدر قد استشهد بآية: ﴿وقال الملأ من قوم فرعونَ أتذرُ موسى وقومَه...﴾(الأعراف/ ١٢٧).

٣ - الجماعة الثالثة: هم الهمج الرعاع الذين يتحركون دون وعي. وقد استشهد الشهيد الصدر بنصٍ قرآني كريم، وبنص للإمام علي(ع) في تحديده لهذه الجماعة، أما النصّ القرآني فهو: ﴿.. إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾. وأما نصّ الإمام علي(ع) فهو: «الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع ينعقون مع كلّ ناعق».

٤ - الجماعة الرابعة: هم الساكتون عن الحقِّ، فهم لم يظلموا، ولكنهم يستنكرون الظلم في قرارة نفوسهم . وقد استشهد الشهيد الصدر بآية: ﴿إنّ الذين توفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم..﴾ (النساء/ ٩٧).

٥ - الجماعة الخامسة: هم المترهبون أو المعتزلون عن هموم الآخرين. وقد استشهد الشهيد الصدر بآية: ﴿... ورهبانيّة ابتدعوها...﴾ (الحديد/٢٧).

٦ - الجماعة السادسة: هم المستضعفون. وقد استشهد الشهيد الصدر بآية: ﴿ونريدُ أن نمنّ على الذينَ استضعفوا في الأرض...﴾ (القصص/ ٥).

مما لاشك فيه، أن الشهيد الصدر في تقسيمه المتقدم قد اضطلع بتحليل فائق للطوائف الاجتماعية التي اصطنعها

الفراعنة. وقدم تفسيرًا عن التفسيرات التي يقدمها علماء الاجتماع من حيث توكؤه على البعد الإسلامي في فرز هذه الطائفة عن تلك. كما برع في تشخيص السمات السلبية المترتبة على سلوك هذه الطائفة أو تلك... وكما لا شك فيه أيضاً، أنّ توكّأه على السنة الشريفة (كلام الإمام -ع -)قد أسعفه من بلورة هذا التقسيم لبعض الطوائف. وكنا نتمنى لو أن الشهيد الصدر توكأ على السنة الشريفة، مضافًا إلى النصّ القرآني الكريم – ليبلور مفهومات أو تفصيلات متنوعة في فصول دراسته جميعاً. ولعلّ اقتصاره على النصّ القرآني الكريم وحده، حمله على أن التمس نصوصاً من الممكن مناقشة دلالتها التي اضطلع بآياتها... من ذلك مثلاً اصطناعه الفارق بين آية: ﴿... يقول الذين استُضعِفوا للذينَ استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ (سبأ/ ٣١). حيث سحبها على الطائفة الأولى، وبين آية: ﴿... إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ (الأحزاب/ ٦٧). وسحبها على الطائفة الثالثة، مع أن التدقيق فيهما لا يسمح بالاصطناع المذكور، حيث إن السادة والكبراء لا يختلفون عن المستكبرين من حيث الدلالة الاجتماعية لسلوك هؤلاء. وقد سبق أن أشرنا في ثمرات متقدمة إلى هذا الجانب، ونذكّر به الآن حرصًا على استخلاص الحقائق الأكثر لصوقاً بظواهر النصّ وما أُثر من التفسير حيالها. ولعلّ الحاجة الأشد إلحاحًا إلى التوكؤ على نصوص السنة الشريفة بصفتها مفسرة

للنصّ القرآني الكريم، ومكملة لأطراف الظاهرة المبحوث عنها، تتضح بالنسبة إلى الطائفة الخامسة التي استشهد في التدليل عليها بعبارة: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ حيث تتحدث الآية الكريمة عن شريحة اجتماعية خاصة، مع أن الشهيد الصدر يتحدث عن سنة تاريخية تنسحب على مطلق عصور الظلم، وحينئذ فإن الاستشهاد بنصوص المعصومين(ع) حيث ألمحوا إلى أولئك الذين عزلوا أنفسهم عن الساحة الاجتماعية، وهو ما ينسحب على مطلق العصور كما أشرنا.

المهم، في نهاية المطاف، أن الشهيد الصدر الذي نحن في صدد الحديث عن تفكيره الاجتماعي في ضوء التصور الإسلامي يظل رائداً لا يختلف اثنان في ذلك، ليس في نطاق البحث الاجتماعي أو الفلسفي أو الاقتصادي أو التاريخي الذي تجاوز به تخوم المؤسسة التي ينتسب إليها فحسب، بل في المعرفة الحوزوية بدورها، حيث عدّ رائداً ضخماً في حقل البحوث الفقهية والأصولية والمنطقية.

وبكلمة قد تكون ضبابية: إن المفكر السيد الشهيد محمّد باقر الصدر يظلّ شخصية تتصاعد في ذكائها ومعطياتها المعرفية إلى درجة «النبوغ» بل «العبقرية» التي لا يسمح بها الزمن إلاّ نادراً، والأهم من ذلك، توظيف جميع قدراته المعرفية في بلورة مبادئ السماء بالنحو الذي تقدم الحديث عنه.

تقرير عن
المؤتمر الحادي والعشرين للوحدة الإسلامية
القسم الأول

استجابة لدعوة العبد الصالح الإمام الخامنئي (حفظه الله تعالى) إلى إعداد ميثاق مشترك للوحدة الإسلامية، عقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مؤتمره السنوي العالمي تحت عنوان:

ميثاق الوحدة الإسلامية ـ نقد ومراجعة

في طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الفترة (٢٧ -٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٩ الموافق ٤ -٦ مايو/ أيار ٢٠٠٨)

بحضور مئات العلماء والمفكرين من شتى الأقطار الإسلامية، حيث ناقش المؤتمرون المشروع المقترح من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية من حيث أسسه ومبانيه، وسياساته وخطوطه العامة، وبرامجه العملية. وبعد مداخلات مستفيضة، ومناقشات عامة أصدر المؤتمر بيانًا ختاميًا جاء فيه:

يقرر المؤتمر تأييد مشروع «ميثاق الوحدة الإسلامية» تأييداً إجمالياً ويوكل إلى لجنة خاصة من العلماء والمفكرين ومن مذاهب متنوعة تشكلها الأمانة العامة للمجمع دراسة كل التعليقات والتحفظات المقدمة وتقرير الصيغة التفصيلية النهائية للميثاق، ويدعو العلماء والمفكرين والأساتذة في كل بقاع العالم للتوقيع عليها.

وجاء فيه أيضًا: يدعو المشاركون كل معاهد الأمة وجمعياتها ومسؤوليها للقيام بنهضة علمية واسعة تطور طاقاتها وتعبئ إمكاناتها وبخاصة في مجال الطاقة النووية واستخدامها للأغراض السلمية وذلك للخلاص من حالات التخلف في جميع المجالات.

كما يؤكدون على ضرورة إصلاح المناهج التعليمية ووضع الخطط الإعلامية اللازمة لتحقيق التربية والثقافة المطلوبة

لبناء جيل إسلامي نشط ينهض بأعباء التقدم على كل الأصعدة ويحقق مبادئ الوحدة والأخوة والتعاون البناء.

وبشأن جرحنا في فلسطين والتحديات الأخرى في بقاع العالم الإسلامي. جاء في البيان: يؤكد المشاركون في الذكرى الستين لاحتلال فلسطين من قبل الصهاينة المجرمين أن تحرير القدس الشريف وكل الأراضي الفلسطينية وعودة اللاجئين إلى ديارهم وتقرير الشعب الفلسطيني لمصيره يجب أن يكون الهدف الاستراتيجي الذي يجب أن يبذل العالم الإسلامي في سبيله كل إمكاناته وطاقاته، ويدعو كل أحرار العالم للوقوف الى جانب هذا الحق.

ويرى المشاركون في المؤتمر أن على الجميع تحويل موارد التهديد الذي تواجهه أمتنا في فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وأفغانستان والصومال وغيرها إلى نقاط قوة وفرص تخطيط مقاوم للخلاص من براثن العدو الصهيوني الغاشم والاحتلال الأمريكي البغيض والتناحر المصلحي المرفوض للوصول إلى تعاون واسع في سبيل مواجهة كافة التحديات التي تواجهها هذه الأمة مستهدفة ثقافتها ودورها الحضاري وبالتالي طاقاتها ووجودها.

وهذا عرض للقسم الأول من الأوراق المطروحة:

القسم الأول من عرض الأوراق

قدم الشيخ أحمد مبلغي دراسة تحت عنوان: «**ثقافة التقريب وتقريب الثقافة**».

قدّم فيه التعاريف المختلفة للثقافة، ثم بين خصائصها، وتأثيرها على الفرد وعلى المجتمع. وتناول إمكان تحقق التقريب وضرورته. ثم قارب بين الثقافة والتقريب. ومما قال تحت هذا العنوان:

«ونظراً إلى التأثيرات الجذرية التي تمتلكها الثقافة، وأنّها من أكثر الأساليب شموليةً وتركيزاً في التخطيط الاجتماعي، فلابدّ من الإذعان بأنّ أية محاولة تقريبية لا تراعي هذا البعد الثقافي، هي محاولة فاشلة بالضرورة، و أنّ مآلها آجلاً أم عاجلاً الاندثار والموت البطيء، وتحمل بوادر موتها واحتضارها معها بشكل من الأشكال.

وبالعكس فإنّ الوحدة حينما تستند إلى الثقافة خلال تقدّمها الى الأمام تتمتّع بحيوية ونشاط أكثر، وتحظي بنصيب أكبر من التوفيق في غلبة العقليات الداعية الى التفرقة، بدليل أن سيرة تغيير فكرة ما ـ كالوحدة مثلاً ـ إلى ظاهرة اجتماعية لاتخلو من مصاعب جمة، فهذا التغيير يغدو ممكناً حين يجتاز المجتمع الطريق الوعرة لتغيير الصور والقيم المقدّسة للاختلاف، أو على الأقل تلك القيم التي تألف الفرقة وتأنس بها. وماهية هذا

المشروع ثقافية قبل كل شيء.

والبحث عن هذا الموضوع يقع في محورين:

ألف. الثقافة التقريبية

إنّ الثقافة التقريبية هي جزء من الثقافة بالمعني العامّ، وهو الجزء الذي يتوقّف عليه تحقيق الوحدة الإسلامية. وسرّ توقّف الوحدة الإسلامية على تحقيق هذا الجزء من الثقافة يتجلّى من خلال الالتفات إلى نكات ثلاث:

أوّلاً: أنّ الوحدة هي نوع وأسلوب من العلاقات الاجتماعية للمجتمع.

ثانياً: أنّ العلاقات الاجتماعية لايمكن تحقيقها إلا عبر تفعيل وتنشيط الثقافة.

ثالثاً: أنّ ما يحمل على عاتقه دور تنظيم وتحقيق الوحدة الإسلامية ليس كل أجزاء الثقافة، بل جزء منها وهو الثقافة التقريبية.

وتتمثّل الثقافة التقريبية في جملة من القيم الإسلامية التي هي أخلاقية في ماهيتها وثقافية في بروزها ودورها في المجتمع. ويمكن التعبير عن هذه القيم بالقيم الإسلامية التي تتمحور حول الأمة؛ والوحدة الإسلامية التي تتسم بأبعاد اجتماعية واسعة جداً لا تتحقق إلا في ظلّ جوّ مفعم بهذه القيم الثقافية التي أوجدها وحقّقها الإسلام بهدف صيانة الأمة من أي خطر، والتي تستمد

قوامها ومعناها من رؤية جديدة ممتازة عن الرؤى الضيّقة والمقيدة بالمصالح المذهبية القاصرة. وهذه القيم منتشرة في مطاوي النصوص الإسلامية الزاخرة كمداراة الناس والإنصاف و.....

وعليه إذا تمّت عملية التقريب في جوّ لا يراعي هذه الخصوصيات الثقافية الأخلاقية، فهي في الحقيقة محاولة محدودة الأفق، وسرعان ما تزول نتائجها وتنهدم آثارها.

والمؤسف له أننا تعوّدنا على اعتبار الكثير من هذه القيم الاجتماعية قيماً أخلاقية فردية، وهذا الخطأ مما انتهي بنا إلي أن نخسر الفرص في البر مجة الثقافية على أساس هذه القيم ذات الدور الاجتماعي».

❖ ❖ ❖

وتحت عنوان: «**التطلعات المستقبلية للثوابت في الميثاق الإسلامي**» قدم الدكتور أحمد محمد خاف المؤمني الجنيجي من عمان ورقة رأى فيها أن أفضل أسلوب ممكن لعقلاء الأمة السير على منهج رسول الله(ص)، في عقد الصحيفة التي جعلها أول ميثاق في الإسلام بعدما وصل المدينة المنورة.

ثم قدم دراسة لبنود الصحيفة ضمن المحاور التالية:

«المطلب الأول: العدل والإحسان.المطلب الثاني: التسامح وأثره في الميثاق. المطلب الثالث:تجاوز مرحلة التنازع بعد فرقة والعمل على الوحدة على أساس المصالح المشتركة داخليًا وخارجيًا.

المطلب الرابع: أهمية الاكتفاء الذاتي في تحقيق أهداف الأمة. المطلب الخامس: التناسق المعرفي وأثره في تحقيق أهداف الميثاق. المطلب السادس: اهتمام الميثاق بالدفاع المشترك كأساس لبناء القوة. المطلب السابع:أهمية العدل والاعتدال في قوة الميثاق واستمراره. والمطلب الثامن:التركيز على الثوابت والمرونة في المتغيرات، والمطلب التاسع:التضامن والتكافل».

❖ ❖ ❖

ومن لبنان المقاومة والصمود قدّم الدكتور أسعد السحمراني بحثًا تحت عنوان: «**المقاومة ضرورة وثقافة فعلاً**». وبدأ بالسؤال: لماذا ثقافة المقاومة؟ وأجاب عليه بالتالي:

«يشهد العالم في هذه السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين للميلاد تطلعاً أمبراطورياً، ونزعة تسلطية استعلائية استكبارية، تقوم على مزاعم الأمة الممتازة عند قادة الولايات المتحدة الأمريكية، ومزاعم الشعب المختار عند الصهيونية اليهودية، وبذلك نشأ مشروع استعماري احتلالي وإحلالي استيطاني صهيوأمريكي يكتوي العالم كلّه بنار أطماعه، وبشكل خاص العالم الإسلامي والشعوب العربية.

هذه المشروعات الاستعمارية التي تتخذ مسمّيات عديدة من الحق في أرض فلسطين الذي يدعيه يهود، والصهاينة منهم بشكل خاص، إلى شعارات العولمة والنظام العالمي الجديد والشرق أوسطية

والأوروموتوسطية وغير ذلك، تمثّل خطرًا داهمًا يهدد الأمة العربية والعالم الإسلامي دينًا ومقدساتٍ وشعبًا وأرضًا وحقوقًا وقيمًا واقتصادًا وفنونًا ..... الخ، إن هذه الهجمة التي أدّت إلى اغتصاب الأرض وتدنيس المقدسات وقتل أو تشريد أو أسر الشعب، وإلى نهب الثروات، واستباحة كل الحرمات لا يكون ردّها بالأماني، ولا بالتوسّل والاستجداء، بل بالإعداد والاستعداد والمواجهة والتضحيات».

ثم تناول شرعية المقاومة، وطرح سؤالاً هامًا تحت عنوان: كيف نستطيع صناعة أمة مقاومة، قال بعده:

«إن الوصول إلى النصر والتحرير يحتاج إلى شعب مشبّع فكره بثقافة المقاومة، وفكر المقاومة، وهذا يحتاج لأسس تحتاجها هذه الصناعة منها:

١ ـ نشر التدين وتعميق قيم الدين في الإنسان فردًا ومجتمعًا وفق قاعدة: "الإيمان بلا تعصّب"، لأن الإيمان مع الرشاد والحكمة تربويًا ينتجان جيلاً جاهزًا للتضحية والفداء من أجل الإنسان والمقدسات والأوطان دونما حساب للخسائر المادية، ولا تردّد في الإقدام حتّى لو كلّف ذلك الحياة. فالروح الجهادية تحتاج صناعتها للعامل الإيماني ـ الديني عاملاً حاسمًا.

٢ـ نشر المنهج الوحدوي الذي تنفسح ساحاته للتنوّع تحت سقف الوحدة بنوعيها: الوحدة الدينية وإن تنوّع الفقه أو تنوعت

المذاهب. والوحدة الوطنية والقومية وإن تنوعت المعتقدات والانتماءات الدينية أو العرقية أو القبلية أو سواها، فالوحدة ركن أساسي في العمل المقاوم لأن الجبهة الداخلية المتماسكة والمعززة تشكّل دعمًا حاسمًا وأساسيًا للمقاومة الرسمية أو الأهلية، لهذا نجد العدو الصهيوأمريكي وحلفاءه يعملون لضرب الوحدة، وزرع الفتنة والفرقة، والعمل لتفتيت الأمة إلى كيانات طائفية وعرقية ليتمكنوا من السيطرة عليها، وهذا ما يسمونه: الشرق الأوسط الجديد. والأمر الطبيعي أن يعمل جميع الغيارى لوأد الفتن بأي رداء استترت.

٣- التحريض والتعبئة ورفع الروح المعنوية على أساس الآية الكريمة: "يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال.". فمثل ذلك يولّد إرادة المقاومة. والمعلوم أن المقاومة إرادة وليست خاضعة لموازين القوى. إن المؤسسات الإعدادية والتربوية، ومعها الإعلام وكل مؤسسات المجتمع الأهلي تحتاج إلى مناهج وبرامج مشحونة بالروح المعنوية العالية، وبالاندفاع إلى ساحات المواجهة ليس على أساس موازين القوى، وإنما طلبًا لهدف هو صناعة الرعب للعدو كي تنهار معنوياته، ويستسلم فيفرّ وهو يجرّ أذيال الخيبة، وقد قال الله تعالى: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾.

هذا التوجيه لا يتناسب معه أي هوان أو ضعف، أو كلام ينشر

ثقافة اليأس وتضخيم قدرات الأعداء بدل أن يبرز مواقع القوة في الأمة، ويرفع من المعنويات، ويقوي العزائم.

٤. إن مقاومة الاستعمار بكل أشكاله يحتاج إلى ثقافة تنزع من صدر كلّ فرد في الأمة القابلية للاستعمار، لأن القابلية للاستعمار على مستوى كيان الفرد الداخلي الفكري والنفسي أخطر على الأمة وعلى حركة المقاومة من الاستعمار نفسه.

لقد نبه إلى خطر القابلية للاستعمار المصلح الجزائري مالك بن نبي (ت ١٩٧٣) ومما قاله: «لكي نتحرّر من أثر الاستعمار، يجب أن نتحرّر أولاً من سببه وهو القابلية للاستعمار. فكون المسلم غير حائز جميع الوسائل التي يريدها لتنمية شخصيته، وتحقيق مواهبه: ذلك هو الاستعمار. وأما ألاّ يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخدامًا مؤثرًا، وفي بذل أقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته، حتّى بالوسائل العارضة، وأما ألا يستخدم وقته في هذه السبيل، فيستسلم لحظة إفقاره وتحويله كمًا مهملاً يكفل نجاح الفنية الاستعمارية فتلك هي القابلية للاستعمار».

إن نزع القابلية للاستعمار من النفوس يحصّن الفرد من قبول الاستتباع أو التبعية للأجنبي ومخططاته، أو قبول الوافد المسموم من عنده، وهذه تربية يحتاجها الجميع، وهي مقدمة أساسية لصناعة الشخصية المقاومة للاستعمار.

٥ـ الإعداد والاستعداد في ميدان الفكر والسياسة والاقتصاد والقوة العسكرية. إن مجتمع الإسلام الأول الذي صاغه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآله وصحبه بعد الهجرة في المدينة المنورة يشكّل النموذج الواجب اعتماده من قبل كل مسلم وكل مجتمع من مكونات الأمة العربية والإسلامية.

بعد الوصول إلى المدينة المنورة كان الفعل الأول بناء المسجد الجامع المعروف بالمسجد النبوي بعد اختيار موقعه، والمسجد يربط الإنسان المؤمن مع الله تعالى ومع دينه، وهو موقع العمل القيادي والتعليمي والتربوي.

والفعل الثاني كان شراء بئر رومة وهذا أمر اقتصادي حيث لا يخفى دور الماء في مناطق في قلب الصحراء، ومن ثمّ كان الاهتمام بالإعداد العسكري ومنه الأمور التالية:

أ. اعتماد القاعدة التي تقضي بأن كل بالغ من الرجال مقاتل والجهاد عليه واجب.

ب . استقدام السيوف والأسلحة من مصادرها هذا مع إرسال أثنين من الصحابة هما: عمرو بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش(في الأردن) ليتقنوا فن تصنيع أسلحة العصر من منجنيق ودبابات، حيث كانت جرش تحت الحكم الروماني البيزنطي وكانت معتمدة مكاناً لمثل هذه الصناعات العسكرية.

ج ــ التشجيع على اقتناء الخيول لما لها من دور في ميدان المعارك.

أما على الصعيد المجتمعي فقد كان بناء المجتمع باتجاهين:

أ- التآخي بين من دخلوا في الإسلام، وهم المهاجرون والأنصار، حيث أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآله وصحبه قائلاً: "تآخوا في الله أخوين أخوين."

ب . بناء العلاقات مع غير المسلمين بناء لميثاق وطني يضبط أسس قبول الآخر ويحدّدها، وكان ذلك من خلال النص التعاقدي المعروف باسم: "الصحيفة".

هذا البناء هو الذي أهّل السابقين الأولين لمواجهة الظلم، ومقاومة الإمبراطوريات المعاصرة هذا مع نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وترافق مع ذلك قيام مجتمع لا ظلم فيه ولا جوع أو تشريد وساد العدل والخير والحقّ والكفاية.

٦- إن مقررات المواد التعليمية في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي تحتاج لتعديل خاصة مواد العلوم الإنسانية بدءاً من مادة التربية الدينية إلى الأدب والاجتماع والاقتصاد والجغرافيا والفلسفة والحضارات وسواها، بحيث يلحظ واضعو المناهج ومؤلفو المقررات أمر التربية على المقاومة.

واجب العملية التعليمية أن تؤمّن للأجيال المفاهيم والأفكار لتكوين شخصية مقاومة عمادها السماحة من جهة والعزّة من جهة أخرى، تلك الشخصية التي تتربى على الفدائية والتضحية، ومن مفاهيمها الجوهرية: "الجهاد حتّى نيل إحدى الحسنيين:

«النصر أو الشهادة» «لا يقدر على دفع ضريبة الدم غير الذين يقدرون شرف الحياة».

وإذا كان أعداؤنا قد أدخلوا في برامجهم التعليمية كل مزاعمهم ودعاويهم الباطلة، فالأولى أن تزخر برامجنا بأبواب التعرّف على حقوقنا وكيفية الحفاظ عليها واسترجاع المسلوب منها.

٧- إن علم الإستراتيجية يوجه إلى قواعد أساسية في ميدان المواجهة منها: قاعدة: إعرف عدوك. وقاعدة: حشد القوى.

وتطبيقاً لهاتين القاعدتين يحتاج مشروع التربية على المقاومة إلى فكر ووسائل نشر من منابر وملتقيات وإعلام إلى علم واسع بحقيقة الأعداء ومشاريعهم الاستعمارية الاحتلالية والاستيطانية الاحلالية أو مشاريع الغزو الفكري والاقتصادي كي يجعل الأجيال على دراية بمن يقاومونه.

أما حشد القوى فيستلزم حرصًا على الوحدة، وبالتالي مواجهة كل دعوة للفرقة والانقسام، هذا مع التوظيف السليم للطاقات والقدرات، وعدم هدرها في معارك وهمية بحيث نصل إلى المواجهة الحقيقية منهكين.

٨ - لقد أعدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – آيسيسكو – مجموعة وثائق نشرت تحت اسم: إستراتيجية، وعالجت موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية، وموضوع إدماج

القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، وموضوع أدب الاختلاف والحوار، وكانت واحد تحت عنوان: الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، ومضامين وتوجيهات هذه الإستراتيجيات بقيت في معظمها حبيسة الوثائق المطبوعة، ولم تتلقفها الحكومات ولا المؤسسات الأهلية لتصوغ على أساسها برامج عمل تسترشد بها في مسارها الحضاري، ومن ذلك التأسيس لثقافة المقاومة.

٩ - إن إرادة الحياة فطرة في الإنسان، وغريزة في سائر المخلوقات، ولكن الحياة البشرية لجهة الحفاظ على الحياة، واستمرار النوع بالتوالد، وهي مقاصد في الإنسان لا قيمة لها ما لم تقترن بالكرامة والعزّة.

يقود هذا إلى القول: إن الإنسان يجب أن يتربّى على رفض الحياة مع الذُّلّ، وأن تقوى فيه نزعة حبّ الآخرة والموت وكراهية الدنيا، بما فيها من مطالب وعلائق مادية الطابع. إن الواجب على المربين أن يعزّزوا في الناشئة حب الشهادة، وفلسفة الموت دفاعًا عن الدين والوطن والحقوق، لأن ذلك يزرع الوهن في صفوف العدو، ويلقي الرعب في قلوب جنوده وقياداته وبذلك يتحقّق النصر.

١٠- نشر الأدب الملتزم، وبشكل خاص الشعر الذي يحمل من خلال صاحبه مشاعر أبناء الأمة وانفعالهم تجاه التحديات، ويعبّر عن روح الصمود فيهم، وعن تطلعاتهم نحو المستقبل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآله وصحبه في الحديث:

"التمسوا غريب القرآن في الشعر فإنه ديوان العرب."

وعندما يراجع المطالع نماذج من الشعر الملتزم فإنه يجد الموقف والتعبئة والحَدْس الصادق بالنصر، ولو أخذنا نماذج من شاعر معاصر هو الشاعر اللبناني طارق ناصر الدين الذي حمل معاناة الأمة وقضاياها فكان لسان الأمة بكل ما لذلك من دلالة.

القدس هي القلب من القضية المركزية فلسطين، وهي المدنسة والمهانة والمحتلة، قال فيها شاعر المقاومة طارق ناصر الدين:

القدس في بالنا مرمى النجوم، ألمْ ... يسْرِ الرسول لها والليل متّئد
وجاء حاخام إبليس يجرّدها ... من ثوبها وهي عذرائي التي تلد
خاف السلاطين من بطش اليهود، ويا ... عار السلاطين لا لبّوا ولا حشدوا
حتّى أطلت يدٌ في متنها حجر ... يا قدس لا تجزعي، أطفالك المدد

لأن الشاعر المقاوم أدرك أهمية وحدة المسلمين في أساس ثقافة المقاومة فقد قال في قصيدة له:

ما أورثونا فرقة أو بدعة ... زورًا على الإسلام حشد مذاهب
من لم تعد تكفيه نسبة مسلم ... واختار أن يبقى أسير الناسب
لا أنت مرشده ولا إسلامه ... حق ولو أدّى الفروض كراهب
الدين ليس مذاهباً مهزومة ... الدين بذل النفس يوم الواجب

ويخاطب الشاعر قوافل الفدائيين من الذين يتقدمون على درب الشهادة غير آبهين بالثمن، فكان ديوانه الثالث تحت عنوان: "تابعوا موتنا"، ومنه قصيدة حملت العنوان، ومما قاله:

"تابعوا موتنا

كل يوم ستشرق الشمس فوق القبور،

وتنمو العصافير والعشب والغناء

تابعوا موتكم

نحن من أمة عظيمة يبدأ في قبورها الانتماء"

وأبدع شاعر المقاومة مجموعة قصائد وجهها إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش منها هذا المقطع:

يا مستر بوش الجونيور

يا أتفه طاغية عرفته الأرض المقلوبة

صهيونيتك تفحّ فحيحًا دورك دور الألعوبة

شارون أمر فنفّذ خطته المرغوبة

قتل الأطفال، وحرق الأشجار،

وتهجير القدس المصلوبة...

لكن أبابيل الثأر ستأتي تحت جوانحها السجيل

لماذا روحك مرعوبة؟

إرهابيون نعم... إرهاب الشيطان

رسالتنا المكتوبة

تملك أسلحة الشرّ الأقصى؟

نملك أسلحة الحقّ المطلوبة

تملك أموالاً؟

نملك أبطالاً

ترسل أشباحًا؟

نرسل أرواحًا

ولديك سلاح نوويّ

ولدينا إسلام وعروبة

هذه مقاطع من رسالة شاعر مقاوم تضجّ بمعانٍ تعبوية، وتستجيب للتحدي، وتدعو لردّ العدوان الصهيوأمريكي الذي يقوده طاغية العصر الرئيس الأمريكي جورج بوش، ومثل هذا الأدب الملتزم هو ما تحتاجه المناهج التعليمية والمقررات الدراسية، وهو ما على وسائل الإعلام أن تتبنى تداوله، كما أن المنبريين يحتاجونه مادة للخطاب. والشاعر طارق ناصر الدين واحد من الأدباء المقاومين الذين نحتاج إبداعاتهم في إطار صياغة إستراتيجية ثقافة المقاومة فكراً وفعلاً».

❖ ❖ ❖

ومن المملكة العربية السعودية قدم الشيخ حسن الصفار ورقة هامة تحت عنوان: «**دعاة التقريب وإشكالات المتحفظين**» قال فيها:

«في عصور التخلف التي عاشتها الأمة اختفت عناوين كثيرة لمبادئ وتشريعات إسلامية أساسية. تحت ضغط واقع التخلف المناقض لتلك المبادئ والتشريعات. وحين أفاقت الأمة على واقعها الفاسد، وتحركت تطلعات التغيير والإصلاح في نفوس أبنائها،

وانفتحت الأمة من جديد على مفاهيم دينها في ظل الصحوة الإسلامية الواسعة ، عادت لساحة الأمة تلك العناوين الغائبة والمغيبة، كعنوان حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والديمقراطية، والتعددية، والحرية، والشفافية، وسيادة القانون... وهي عناوين إسلامية أصيلة قد أُغفلت، وأصبح البعض ينظر إليها بريبة وكأنها أفكار دخيلة ومفاهيم مستوردة..

ومن تلك العناوين الغائبة المغيبة عنوان الوحدة والتقارب والانفتاح بين طوائف الأمة ومدارسهم المذهبية والفكرية.

إن أي مسلم لديه شيء من المعرفة بمبادئ الإسلام لا يستطيع إنكار مبدأ الدعوة إلى وحدة الأمة، فهو مبدأ أساس نصّت عليه آيات محكمة من كتاب الله، وأحاديث صحيحة من سنة رسول الله(ص) ، كما يؤيده العقل والوجدان، وتؤكد عليه تجارب الأمم القوية الناجحة.

فقضية وحدة الأمة ليست من القضايا النظرية التي تقبل الأخذ والردّ، وتحتاج إلى البرهنة والاستدلال، بل هي من ضروريات الدين المسلّم بها عند فقهاء المسلمين. لكن عصور الاستبداد والتخلف، التي عاشت الأمة في ظلها انقسامًا مذهبيًا حادًا، على الصعيد الثقافي والنفسي والاجتماعي، صيّر الفرقة والقطيعة والانطواء واقعًا مقبولاً، وكأنه الحال الطبيعي الذي يجب أن يستمر في حياة الأمة.

بينما أصبحت عناوين الوحدة والتقارب والانفتاح، وكأنها شعارات وهمية براقة، ينخدع بها الحالمون، وضعاف العقيدة في مذاهبهم، واللاهثون خلف المصالح السياسية.

إن دعاة الوحدة والانفتاح والتقارب بين أتباع المذاهب، تلاحقهم علامات الاستفهام، وتثار أمام حركتهم الإشكالات، وكأنهم يدعون إلى منكر، أو يرفعون شعارات تشكل خطرًا على مصلحة المذهب وصدق الاعتقاد.

وتتبنى هذا الموقف المناوئ لدعوة الوحدة والتقارب أوساط دينية من السنة والشيعة، تظهر الحماس لحماية المذهب وحراسة العقيدة.

وبدل أن يتجه السؤال نحو العلماء المتقاعسين عن وظيفتهم الشرعية في الدعوة إلى الوحدة، والسعي إلى التقارب، وبدل أن يُدان ويحاكم المحرضون على الفرقة والنزاع باسم الدين والمذهب، أصبح الدعاة إلى الوحدة والتقارب في موقع السؤال والاتهام!!

ويبدو أن هذه الأوساط المذهبية المتحفظة على دعوات الوحدة والتقارب، تريد بإثارة الشكوك والاتهامات تجاه دعاة الوحدة، التبرير لتقاعسها وتخليها عن مبدأ هو من أهم مبادئ الإسلام، أو أن لها مصالح في هذا الواقع الفاسد، أو أنها لا تجيد غير لغة التعبئة الطائفية وإثارة العواطف ودغدغة المشاعر المذهبية.

إنهم يثيرون بعض الإشكالات والشبهات تجاه الوحدة والتقارب،

لمنع جماهير الأمة من التفاعل معها، ولتشويه صورة دعاة التغيير والإصلاح.

إن الأمة الآن على مفترق طرق فيما يرتبط بعلاقات طوائفها المذهبية، وخاصة بعد الأحداث المرعبة في العراق، فإما الاستمرار في خط المفاصلة والتخندق المذهبي، وإما تدشين عصر جديد من الانفتاح والتقارب.

ولأن الرهان على وعي أبناء الأمة، فلا بد من تسليط الأضواء على ما يثار حول الموضوع من تساؤلات وإشكالات، ليكون جمهور الأمة على بيّنة من أمره، وليكون اختيار المسار عن بصيرة ووعي.

إلغاء الآخر شرط الوحدة!!

للالتفاف على مطلب الوحدة يطرح بعض المتشددين شرطًا تعجيزيًا لتحقيق الوحدة، وهو إلغاء الطرف الآخر، حيث يقول بعض علماء السنة: إن الوحدة لا تتحقق إلا إذا اجتمع المسلمون على مذهب أهل السنة والجماعة.

ويقابلهم بعض علماء من الشيعة يقولون: إن الوحدة لا تتحقق إلا إذا اجتمع المسلمون على إمامة وولاية أهل البيت(ع).

ومؤدى كل من الطرحين إلغاء الآخر، بأن يصبح الجميع سنّة وينتهي وجود مذهب الشيعة، ضمن الطرح الأول، أو يصبح الجميع شيعة وينتهي وجود مذهب السنة حسب الطرح الثاني.

إنه شرط تعجيزي، إذ كيف يمكن إلغاء أي من الطرفين؟ هل بالإبادة الجماعية؟ أم بإجبارهم على اعتناق المذهب الآخر؟ أم بالسعي لإقناعهم بالتنازل عن مذهبهم؟ وماذا إذا لم يقتنعوا أو لم يقتنع بعضهم؟

إن كلا من الطرفين يعتقد أن مذهبه هو الحق، وأن الآخر مخالف للحق، كما أن التوجهات الدينية لا يحكمها الجانب العقلي والمنطقي وحده، بل للعواطف والمصالح والتكيّف الاجتماعي تأثير لا ينكر، قد يتجاوزه بعض الأشخاص والمجاميع، ولكن من الصعوبة بمكان أن يتجاوزه الجمهور كله في الأديان والمذاهب، وهذا ما يفسّر بعداً من أبعاد بقاء الأديان والمذاهب، وتوارث الأجيال لها.

لقد كان رسول الله(ص) يمثل بدعوته الحق اليقين، ويمتلك قوة الحجة والبرهان، لكن ذلك لم يحسم الموقف مع أتباع الديانات الأخرى كاليهود والنصارى الذين عاصرهم، حيث استجاب عدد منهم للإسلام بينما تمسك الباقون بدينهم.

وهنا نجد أن رسول الله(ص) وضع صيغة للتعامل مع هذا الأمر الواقع، بما يخدم الاستقرار في مركز الدعوة الإسلامية، ضمن ما يعرف بصحيفة المدينة، التي أقرت ميثاق وحدة وطنية بين أتباع الديانات المختلفة، في ظل القيادة النبوية.

القلق من التنازلات:

يثير المتحفظون على دعوة الوحدة والتقريب في الوسط الديني، مشاعر القلق من تقديم تنازلات للطرف الآخر، على حساب العقيدة والمذهب.

وقد طرح العلماء الوحدويون من الطرفين، منذ بداية مسيرة التقريب في هذا العصر، أن غرض دعوة الوحدة والتقريب، هو تحقيق التعايش السلمي بين أبناء الأمة، وتوفير أجواء الاحترام المتبادل، والسعي للتعاون في خدمة المصالح المشتركة.

وأن الوحدة والتقريب لا تعني تحوّل أتباع مذهب إلى مذهب آخر، ولا تلفيق مذهب ثالث بين المذهبين، ولا طلب التنازل من أحد عن معتقداته وآرائه التي يدين الله بها .فأمور العقيدة والدين لا تقبل المساومة، وهي شأن قلبي يستعصي على الإخضاع، كما يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فهذا النفي في الآية الكريمة للإكراه في الدين، إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين، أنتج حكمًا دينيا ينفي الإكراه على الدين والاعتقاد، وإن كان حكمًا إنشائيًا تشريعيًا كان نهيًا عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كرهًا، وهو نهي متك على حقيقة تكوينية، على حد تعبير السيد الطباطبائي في الميزان.

هناك شيء واحد لا بد من التنازل عنه وهو الإساءة والعدوان، من أي طرف تجاه الآخر، فليس مقبولاً صدور فتاوى التكفير، ولا

خطاب التحريض على الكراهية، ولا الإساءة للمقدسات والرموز.

والمشكلة أن بعض المتشددين من علماء السنة يرى إصدار فتاوى التكفير وإثارة الكراهية ضد الشيعة تكليفاً شرعيًا، كما أن بعض المتشددين من الشيعة يرى إظهار الإساءة بالسب واللعن لرموز يقدسها ويحترمها أهل السنة تكليفاً شرعيًا.

ولا شك أن التقارب بل التعايش في ظل هذه الآراء المتشددة غير ممكن، وأن هذه الآراء توجه الأمة إلى خيار الصراع والاحتراب الطائفي، وتنتج الخصومة والفتنة بين أبناء الوطن الواحد.

فهل يدرك هؤلاء وخامة هذه النتيجة؟ وهل يتحملون مسؤوليتها أمام الله؟ وعلى الناس أن يسألوا أنفسهم في كل بلد تتنوع فيه المذاهب هل يقبلون ذلك؟

وإذا كان التنازل غير مطلوب ولا وارد في المعتقدات، فإنه قد يكون مطلوبًا وواردًا في بعض المظاهر والممارسات، إذا اقتضته المصلحة العامة للأمة، أو المصلحة الخاصة بالطائفة، أو المصلحة الأخص على المستوى الفردي.

ألم يتنازل رسول الله (ص) في كتابة وثيقة صلح الحديبية عن (بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ذكر صفته (رسول الله)؟

قال الواقدي أمر النبي (ص) علياً يكتب، فقال رسول الله(ص): أكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو ممثل قريش: لا أعرف الرحمن، أكتب كما كنا نكتب: باسمك اللهم. فضاق المسلمون من ذلك، وقالوا: لا نكتب إلا الرحمن. قال سهيل:

إذا لا أقاضيه على شيء. فقال(ص): أكتب باسمك اللهم! هذا ما اصطلح عليه رسول الله. فقال سهيل: لو أعلم انك رسول الله ما خالفتك، وأتبعتك، أفترغب عن أسم أبيك محمد بن عبدالله؟ فضج المسلمون منها ضجة أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات، وقام رجال من أصحاب رسول الله(ص) يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله. فقال (ص): أنا محمد بن عبدالله فاكتب!.

وفي الإرشاد للشيخ المفيد أن علياً بعد أن كتب: هذا ما صالح عليه رسول الله (ص)واعترض سهيل بن عمرو وقال له النبي (ص): امحها يا علي. فقال علي: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق لمحوها. فقال (ص): فضع يدي عليها، فمحى رسول الله (ص)بيده كلمة: رسول الله نزولاً عند رغبة سهيل مفاوض قريش .

كما أن أمير المؤمنين عليًا تنازل عن المطالبة بحقه في الخلافة، وانضوى تحت حكم الخلفاء، حفاظًا على مصلحة الإسلام ووحدة الأمة كما قال (ع): «وَاللهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ» .

وتنازل الإمام الحسن (ع)عن الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان فيما بعد حقنًا للدماء، ورعاية للمصلحة العامة.

وفي المدرسة الشيعية تؤكد تعليمات أهل البيت (ع) لشيعتهم على تقديم التنازلات في الممارسات العبادية والخارجية لإخوانهم أهل السنة، اتقاء للسوء والأذى، أو صيانة لأجواء التعايش والمحبة، حيث يأمر أئمة أهل البيت (ع) شيعتهم أن لا يمارسوا شيئًا من

أمور مذهبهم يسبب لهم الضرر والحرج لو عاشوا في محيط متشدد أو يسبب نفور الآخرين منهم ويؤدي إلى عزلتهم ونبذهم، ولذلك قسّم الفقهاء الشيعة التقية إلى قسمين: التقية الاضطرارية، والتقية المداراتية. وبعبارة أخرى: التقية خوفًا من الآخر، والتقية تحببًا إلى الآخر، كما عنونها المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

يقول: «إن غاية التقية لا تنحصر في حفظ الأنفس ودفع الخطر عنها، أو عن ما يتعلق بها من الأعراض والأموال، بل قد يكون ذلك لحفظ وحدة المسلمين، وجلب المحبة، ودفع الضغاين فيما ليس هناك دواع مهمة إلى إظهار العقيدة والدفاع عنها».

نؤكد مرة أخرى أن الوحدة والتقارب والانفتاح لا يعني التنازل عن شيء من المعتقدات، كما أن الظروف المعاشة في أغلب البلدان الإسلامية تتسع للممارسات المذهبية الخاصة بأتباع كل مذهب من المذاهب، لأن عالم اليوم لا يقبل تقييد الحريات الدينية.

ويجب على دعاة الوحدة والتقارب . قبل غيرهم معارضة أي قيود على الشعائر والممارسات الدينية لأتباع أي مذهب من السنة أو الشيعة، لكن الأمر الذي لا يمكن قبوله شرعًا ولا عقلاً هو الإساءة من أي طرف للآخر، وإذا كان أحد يرى أن تكليفه الشرعي هو إبداء الإساءة للآخر، فإنا نخالفه الرأي في ذلك،

ونطلب منه إن عجزنا عن إقناعه بخطأ رأيه، أن يتنازل عن العمل بذلك الرأي رعاية للمصلحة العامة، وحماية للوحدة، ودرءاً للمفسدة والفتنة.

ومن أولويات الفقه ومنطق العقل تقديم الأهم على المهم عند التزاحم.

المصالح السياسية:

حينما لا يجد المتحفظون إشكالاً منطقيًا يثيرونه في وجه دعاة الوحدة والتقريب، فإنهم يلجأون إلى التشكيك في الغايات واتهام النوايا، والقول بأن دعاة الوحدة يسعون لتحقيق مصالح سياسية، وأنهم يعملون ضمن برامج سياسية؟

والغريب أن هؤلاء المتحفظين وهم غالبًا ما يتظاهرون بالقداسة والورع، والتزام الاحتياط، كيف يسمح لهم ورعهم بالحكم على النوايا والمقاصد التي لا يعلمها إلا الله تعالى؟ وكيف لا يحتاطون في التعرض لحرمات الآخرين؟

ثم إن دعاة الوحدة والتقريب فيهم مراجع فقهاء وعلماء فضلاء انطلقوا في دعوتهم من باعث ديني شرعي، ومن إخلاص واهتمام بمصلحة الإسلام والأمة. وفي طليعتهم من المعاصرين مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده وشيخ الجامع الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ سليم البشرى، والشيخ احمد حسن

الباقوري، والشيخ محمد الغزالي، ومفتي سوريا الشيخ احمد كفتارو، والمرجع الأعلى السيد حسين البروجردي، والإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ محمد تقي القمي، والإمام الخميني وأمثالهم من الفقهاء والعلماء....

وإذا كان المقصود بالمصالح السياسية التي يستهدفها دعاة الوحدة هو حفظ الأمن والاستقرار والنظام في الوطن، وحماية وحدة الأمة، ورصّ صفوفها لمواجهة العدوان الأجنبي، فهي مصالح مشروعة بل فرائض واجبة، على المتحفظين أن يعيدوا النظر في مواقفهم تجاهها، وأن يتقوا الله في مصالح الدين والأمة، حتى لا تكون ضحية تشددهم وتطرفهم المذهبي.

أما إذا كان المقصود اتهام دعاة الوحدة والتقريب بان لهم مصالح شخصية مادية، كالمناصب والمواقع والزعامة والظهور، فان واقع الساحة يثبت أن دعاة الوحدة يدفعون ثمنًا باهظًا من سمعتهم وراحتهم، لأن إظهار الولاء والتشدد المذهبي هو السلعة الرائجة على المستوى الشعبي، وهو لغة اللعبة السياسية في المنطقة حاليًا.

فمن يريد الكسب والمصلحة الذاتية عليه أن يدغدغ مشاعر الجمهور المذهبي، وأن يرفع لواء الدفاع عن الطائفة، وحراسة المذهب، وذلك هو نهج المتحفظين، فهم الأولى بهذا الاتهام لو

كنا نقبل أسلوبهم في اتهام النوايا.

إن دعاة الوحدة والتقريب يسيرون بعكس تيار العواطف والمشاعر، ويواجهون اللعبة السياسية القذرة التي تريد تفتيت الأمة، وتمزيق وحدة أوطانها.

فهل يدرك المتحفظون والمتشددون مذهبيًا أنهم يخدمون المصالح السياسية المعادية للإسلام والأمة؟

من المؤسف أن أكثر هؤلاء يخدم مصالح الأعداء في الخارج والداخل دون وعي وقصد.

إفرازات التشدد المذهبي:

من الطبيعي أن تكون هناك إفرازات لاتجاهات التشدد المذهبي، تتمثل في فتاوى التكفير، وخطابات التحريض على الكراهية، وتبادل الاتهامات، وحالات العداء، والانتهاك للحقوق المادية والمعنوية، كسياسات التمييز الطائفي، وحوادث العنف والعدوان.

إن هذه الإفرازات منتج طبيعي لاتجاهات التشدد المذهبي، ولواقع التباعد والتنافر بين المنتمين للمذاهب المختلفة.

والدعوة إلى الانفتاح والتقريب والوحدة إنما جاءت لإنقاذ الأمة من هذا الواقع السيئ، ولإصلاح خلل العلاقة بين أتباع المذاهب، بما يضع حدًا لتلك الإفرازات البغيضة.

إن صدور إساءات ضد هذا المذهب أو تلك الطائفة يجب أن يشكل مبررًا ودافعًا للاهتمام بدعوة التقريب والوحدة، وللتدليل

على ضرورتها وإلحاح الحاجة إليها، لأنها تقدم المعالجة الجذرية، وتبشر بعهد جديد من الأخوة والتفاهم والتعاون.

لكن المتحفظين يوظفون حصول هذه الإساءات لتعزيز الشكوك في مصداقية الدعوة إلى الانفتاح والتقريب، فكلما وقع حدث طائفي، أو حصلت إساءة مذهبية، استغلها المتشددون لتعزيز مواقعهم، وتبرير مواقفهم المتطرفة، ورفع المتحفظون عقيرتهم تجاه دعاة الوحدة والتقريب، ليضعوهم في موقع المساءلة والمحاكمة، كيف تدعون إلى الوحدة مع هذا الطرف وقد فعل هكذا؟ وكيف تريدون التقارب مع تلك الجهة وقد قال أحدهم كذا؟

وهذه مغالطة فاضحة، وتضليل لوعي الناس، فاتجاهات التشدد، والمتحفظون على دعوة الوحدة والتقريب، هم الذين يتحملون مسؤولية استمرار التشنج الطائفي، والخلافات المذهبية. إنهم ينتجون هذه الإفرازات، ويوفرون الأجواء المساعدة على نموها، ثم يوظفونها لإغراق المجتمع في المزيد من التعصب والتشدد، ونهايته المتوقعة هو الاحتراب والفتنة، التي تسفك فيها الدماء، وتنتهك الأعراض، وتمزق الأوطان.

إن دعاة الوحدة والتقريب هم آخر من يحاسب على حصول هذه الإساءات الطائفية، لأنهم يرفضونها، ويدعون إلى السير في طريق الخلاص والسلامة منها.

إن هناك إساءات متبادلة من الطرفين، قد تتفاوت في حجمها

من مكان لآخر، لكن كل طرف يغض الطرف عن الإساءات التي تحصل من جماعته تجاه الآخر، كما أنه من الخطأ الكبير تعميم المسؤولية، فلا يصح أن نحمل كل السنة مسؤولية ما يقوله ويمارسه المتطرفون منهم، كما لا يصح أن نحمّل كل الشيعة مسؤولية ما يقوله ويمارسه المتطرفون منهم.

إن هدف المتطرفين في الجانبين إذكاء الصراع وإشعال الفتنة، وعلى الواعين أن لا يقعوا في الفخ، وأن لا يتركوا الساحة للمتشددين والجاهلين.

ولا نجاة للأمة من هذا النفق المظلم إلا بالسير في طريق الانفتاح والتقريب، لتجتمع الأمة على أصول دينها، ولتتحد في خدمة مصالحها المشتركة، مع الاعتراف بالتعددية المذهبية، والاحترام المتبادل بين الطوائف، وإقرار حقوق المواطنة والإخوة الإسلامية، وذلك هو جوهر دعوة التقريب والوحدة».

❖ ❖ ❖

ومن لبنان أيضا قدم الشيخ محمد عسيران دراسة بعنوان «**الوحدة سلاح المسلمين في وجه العولمة**». قدم لها بتعريف العولمة ومفهومها السياسي والاقتصادي وخطرها على الأمة الإسلامية. وتحت عنوان : وحدة المسلمين ضمان لحريتهم وكسر طوق العولمة، قال:

«قد يبدو الأمر الوحدوي عائقاً في وجه حرية الأفراد أو الفئات

المختلفة. إلا أن الواقع يبين عكس ذلك كله نظراً لما توفره الوحدة من الأجواء الايجابية البناءة لحماية الحريات وفي مقدمتها حرية الرأي والتفكير التي ترفد العقيدة الإسلامية بالفكر المتجدد والآراء الخلاقة، دونما أن يثير ذلك أي اضطراب على صعيد ممارسات الفئات المختلفة لعباداتهم. وهنا لا يسعنا إلا الإشادة والتذكير برواد الفكر وحملة الإصلاح الذين يتسلحون بسلاح الحرية والرأي والفكر والاجتهاد التي يقرها الدين الإسلامي، ويعترف بما لها من أهمية على الصعيد الإيماني. فهي تخرج المؤمن من بوتقة التقوقع والانعزال إلى فضاء الإيمان والتحرر. فيكون إيمانه ناتجًا عن قناعاته العقلية التي تسلط الضوء على كل ما هو اتفاق أو اختلاف. فتجعل للاتفاق والتوافق مساحة التقريب والواحدة, وتحتضن الخلاف كدليل عافية وحياة للعقيدة وأصحابها حيث تحتفظ المذاهب والفرق كله بخصوصيته دونما أن يشكل ذلك أي مساس بالعقيدة الإسلامية التي تتسع لكل الفرو قات وكل الخصوصيات، لا بل هي التي تنتجها وتعمل على تزكيتها لأنها من شروط استمرارها كعقيدة عقلانية, مرجعها الأول والأخير العقل.

ولا يمكن لأي كان تجريد العقل من حريته في التفكير والإدراك. هنا نرى تصادم العولمة مع مفهوم الحرية والتنوع بحيث أن هذه الأخيرة تقضي إخراس كل صوت يناوئ مبادئها، وسحق

كل قيمة تتصادم مع قيمها. فهي تعمل على فرض ثقافتها المادية وإضعاف القيم الاجتماعية ومحو ما هو خاص ليحل محله العمومية والشمولية على مختلف الصعد سياسة كانت آم اقتصادية آم اجتماعية وثقافية».

❖ ❖ ❖

ومن جمهورية آذربايجان التي انفصلت ٨٠ عامًا عن الدائرة الحضارية الإسلامية ثم عادت بحمد الله، شارك الأستاذ إميل رحيموف بورقة تبين تجذّر الروح الإسلامية في هذه الأمة رغم محاولات القطيعة التي بذلت ولا تزال تبذل في عالمنا الإسلامي.

قال الأستاذ رحيموف في هذه الورقة:

«تعد قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية من أهم الموضوعات المعاصرة في العالم الإسلامي الحاضر. وتزداد أهمية هذا الموضوع يوما بعد يومٍ. لذا لا ينبغي التغافل عن أهداف هذه القضية المهمة للغاية.

فها هو ديننا الحنيف يدعونا إلى الوحدة، سواء أ كانت هذه الوحدة سياسية أم اجتماعية أم حضارية فإنّها لابد منها.

وهناك سؤال ملح يطرح نفسه، لماذا نحن ـ المسلمين ـ نعادي بعضنا بعضًا بعد ما آخى الله ورسوله(ص) بيننا ؟

فالله يذكّرنا بقوله: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على

شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (آل عمران ـ ١٠٣).

و يقول أيضا: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات ١٠).

قال رسول الله (ص): «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئٍ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». فهذا الحديث الجامع الشامل يوضح لنا كل الوضوح كيفية معاملة المسلمين مع إخوانهم من المسلمين.

و كان رسول الله (ص) المثل الأعلى عندما آخى بين المهاجرين والأنصار. ومن أروع ما يحكى لنا التاريخ صورة خروج الأنصار للقاء إخوانهم من المهاجرين وترحابهم الغالي بهم وإيثارهم على أنفسهم. فمنهم من يقسم ماله نصفين ويعطيه لأخيه.

و من ذلك أيضا ما حدث في التاريخ، يوم اليرموك، روى القرطبي عن حذيفة العدوى قال: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء، وأنا أقول إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم! فإذا أنا رجل يقول: آه! آه!، فأشار إلى ابن عمى أن انطلق إليه، فإذا هو هشام ابن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى

هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات.

فأنزل الله في شأنهم: ﴿و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (الحشر/ ٩).

و من البلايا التي ابتلينا بها في زماننا الحاضر هي إقامة بعض فرائض الله وترك أو نسيان بعضها. فإذا كانت الصلاة والصيام فرضا فالأخوة فرض أيضا. يقول الله تعالى: «و أقيموا الصلاة...»، فهذا أمر. وفى الآية الأخرى: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم»، الإصلاح بين الإخوة واجب أيضا. كما أمرنا الله بإقامة الصلاة أمرنا أيضا بالإصلاح. فالإتيان بالأولى وترك الثانية مفسدة في الدين. يقول الله عز وجل: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض... ﴾ (البقرة/ ٨٥).

فقد كان يعيش سلف الأمة في القرون الأولى تحت راية الوحدة والأخوّة مع أنه كان بينهم من الاختلافات الكثيرة. فحادثة بني قريظة معروفة لدى الأكثرين ، والنبي (ص) لم يفسقهم ولم يخطئهم. كان الصحابة يختلفون فيما بينهم ثم يصلون وراء بعضهم .و كانت هذه الاختلافات في نظرهم أمرًا عاديًا، لا يؤدى إلى أى بغضاء أو شحناء بينهم. ولكن مع مرور الزمان تغيرت الأوضاع ونفذت إلى صفوف المسلمين التفرقة وسوء التفاهم.

ثم ما ذنبنا اليوم؟ حتّى نحمل أوزار قطيعة دفع إليها جمود

الفكر، والبعد عن روح الإسلام، بتحكيم الدنيا في الدين، وتفسير نصوصه الصحيحة، أو وضع نصوص باطلة مجاراة لأهواء رجال السياسة أو تقربًا إلى الحاكمين، ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. لقد آن لنا أن نقوم بتصفية هذه التركة المثقلة بالمغارم، عن طريق التواصل والتراحم والتعاون على البر والتقوى، والتواصى بالحق، والتواصى بالصبر.

لذلك يجب على المسلمين أن يفهموا حقيقة الاختلاف بين المذاهب الإسلامية. وأن تلك المذاهب تتحد في الأصول الرئيسية وهى عندهم واحدة وأن الفروع مستمدة من الأصول. فالأصول الرئيسية المتفق عليها هي:

١. ربنا واحد؛ يقول الله تعالى: ﴿و إلهكم إله واحد لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ " (البقرة / ١٦٣)

٢. كتابنا واحد؛ ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة / ٢)

٣. نبينا واحد؛ ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف/١٥٨)

٤. قبلتنا واحدة؛ ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (البقرة/١٤٤)

٥. ديننا هو دين الإسلام؛ ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران/ ١٩)

و قد أسلمنا جميعا لربّ العالمين؛ ﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا﴾ (الحج/ ٧٨)

كما قلنا الأصول الرئيسية عند المذاهب واحدة والفروع مستمدة من الأصول، أي أن الشريعة السمحاء أجازت لنا الاجتهاد فيما لا نص فيها أو لم يكن عليه دليل قاطع وصريح من الكتاب والسنة أو احتمل عدة وجوه. . إذًا ، فسماح الشريعة الإسلامية لنا بالاجتهاد إنما يدل على أنها تجيز لنا الاختلاف في الآراء المستمدة من الشريعة نفسها، علمًا بأنّ الاجتهاد ليس من هوى العلماء، بل اجتهادهم يستند إلى دليل شرعي محض.

إذًا، لما نختلف؟ وفيما نختلف؟ أ يحق لنا أن نختلف اختلافًا يؤدى إلى العداوة والجهل، بعدما أدركته عقولنا فيما اجتهدنا بما لدينا من علم ومعرفة بالشريعة الإسلامية؟ لابد أن ننظر إلى هذا الأمر بعين الاعتبار، فطبيعة الله مليئة بهذه الاختلافات وأدق منها بالتنوعات، أي أن هذه الاختلافات تعد من التنوعات لا من التضاد.

وفي الحقيقة، فالاختلاف في الفروع يشبه التنوع في المخلوقات، كتنوع الألوان والأجناس في طبيعة البشر.

و من حكمة الله أن وهب للبشر مختلف الصور والألوان وجعل العقل على مستويات والعلم المكتسب على درجات. ولو شاء الله لجعل الخلق على شكل ولون واحد وعلى عقل وعلم واحد، ولكن

الله خلق كما شاء، وأظهر لنا عظمة قدرته بهذه التنوعات. ولهذا نجد اختلاف الآراء حصيل العقل والعلم والاجتهاد.

هنا نتساءل، من الذي جعل العقل على مستويات؟ ومن الذي جعل للعلم درجات؟ ومن الذي قال: ﴿و فوق كل ذى علم عليم﴾؟ من الذي فضل بعض الناس على بعض؟ الجواب واحد: هو الله سبحانه وتعالى.

إذًا، كيف ننكر العقل والعلم وقد أعطى الله لكل مدلوله؟! فإنكار هذا إنكار لحكمة الله.

مع أن الناس خالقهم واحد، ولكنهم ليسوا على شكل واحد بل عقولهم على مستويات وأذواقهم متنوعة، وآراؤهم مختلفة وسعيهم مشتتة متباينة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إنّ سعيكم لشتى﴾ (الليل /٤). هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عظمة قدرة الخالق، فكذلك تنوع الفروع والاختلافات والآراء والأنظار تدلّ على عظمة أصول الإسلام وشموليّته التي تصلح لكل زمان ومكان.

لو اعتبرنا الاختلافات والآراء التي هي حصيلة الاجتهاد عيبًا ونقصًا، فهذا يستلزم وجود نقص فى خلق الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولكن الله يقول: ﴿لقد خلقنا الإنسانَ في أحْسنِ تقويم﴾ (التين/٤)

إذاً، علينا ألا نعيب هذا التنوع والاختلاف في نتاج العقل

والعلم الذين يستندان الى دليل شرعي ، كما أننا لا نعيب التنوعات الطبيعية الموجودة في خلق الله. وهذا التنوع في شريعة الإسلام خاصية من خصائصه .

وفي الآخر نود أن نوضح لِما يصعب على البعض فهمه بأن التقريب بين المذاهب الإسلامية كيف يتيسر مع وجود الاختلافات بين المذاهب في الأصول غير الأساسية والفروع؟ نقول وبالله التوفيق، ليس المراد بالتقريب هو مزج الآراء، وإدماج المذاهب حتّى تكون مذهبًا واحدًا، وما كان لعالم، أو جماعة من العلماء . أن يحجروا على عقول دعاها الله إلى النظر في ملكوته، أو يقصروا الناس على إحدى طرائق الفهم، أو بعض وسائل النظر! وإذن فما هو التقريب؟ إنه دعوة إلى التعاون على البر والتقوى وإصلاح أحوال المسلمين، بتوجيه طلاقتهم العامة وجهة واحدة، تحقق سعادة الجميع، أو تؤمنه من أخطار خارجية. الجميع يؤمنون بالأصول الكبرى التي تؤلف حقيقة الدين كما ينطق به القرآن صراحة، وهو عند الجميع واحد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

و مما لا شك فيه أن كل دعوة للتفريق بين المسلمين، وإثارة أسباب الخلاف من جديد بين الطوائف الإسلامية، خيانة لله ولرسوله وآله، وللقرآن العظيم، وللأمة الإسلامية، فكل مثير للخلاف، داع للفرقة، حتم علينا أن نتشكك في نواياه، وأن نعمل

على ردعه سيما في هذا الزمان الذي تهدد أرض المسلمين فيه من كل جانب بالجيوش والمبادئ، وإلا كنا مفرطين حق علينا كلمة العذاب.

ألا وإن من يلبى نداء «جماعة التقريب» فقد لبى داعي الله، ومن حاربها فقد حارب داعي الله، والله غالب على أمره...»

❖ ❖ ❖

السيد الصادق المهدي كان من المواظبين على حضور جلسات المؤتمر، فقد قدم من السودان ليبثّ بعض همومه عن مشاكل العالم الإسلامي وقال تحت عنوان «**ميثاق الوحدة الإسلامية**»:

«أمة الشهادة يجمع بين عقول أفرادها وجماعاتها وقلوبهم تقديس لكتاب الله ـ القرآن، تقديسًا لا يماثله تقديس أية ملة أخرى لكتابها. وحبًا للنبي محمد (ص) لا يماثله حب آية ملة لقدوتها. وهم يمارسون شعائر عبادية مشتركة ويلتزمون بمرجعية أخلاقية واحدة وهم يعظمون ماضيًا ذهبيًا مشتركًا. ويتطلعون لمستقبل أفضل وأمجد.

ولكن أهل القبلة رغم ما يجمع بينهم مختلفون اليوم مذاهب، وفرقا، ونحلا، ودولا يتجاوز عددها الخمسين.

وفي يومنا هذا تفشى الظلم والفساد ونشط دعاة الفتنة يستثمرون فرقة المسلمين لمصالح ذاتية كما نشط المستكبرون في العالم يراهنون على توظيف فُرقة المسلمين لصالح أجندة الهيمنة

والاستعلاء. ودرءًا للفتنة الداخلية، وتصديًا للهيمنة الخارجية، تنادى علماء ومفكرو وقادة الأمة الإسلامية لإبرام هذا الميثاق الذي يؤسس على ما يوحّدهم ويوجب التسامح والتعايش فيما فيه يختلفون.

هذا هو ميثاقنا والله ولي التوفيق.

أولا: الإسلام هو الدين الخاتم، وهو هداية الله للناس كافة. نحن نلتزم بالإسلام وبالجهاد والاجتهاد لاستهداء أنفسنا وحياتنا بهديه، بالجهاد في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة، لنشر هدايته في الدنيا، والجهاد بالمال والنفس لصد العدوان.

ثانيا: نؤكد التزامنا كافة في الحاضر والمستقبل بثوابت الدين وهي قطعيات الوحي المجمع على قطعيتها: الشهادة، والصلاة، والزكاة، صيام رمضان، والحج إلى بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

المعاملات متحركات وهي موضوع الاجتهادات المشروعة، ونحن نلتزم بالتعاون فيما اتفق فيه اجتهادنا ويعذر بعضنا بعضًا في أمر الاختلافات الاجتهادية.

الكون المشاهد هو كتاب الله المنشور وواجبنا أن نكتشف سننه وقوانينه وتسخيرها لمصلحة الإنسان المستخلف على الكون.

ثالثا: اختلافات مذاهب المسلمين نتائج حتمية لحرية وواجبية

الاجتهاد. ونحن نعترف بمذاهب الفقه الإسلامية لا سيما الثمانية الشهيرة. إن اختلافات المجتهدين فيما عدا القطعيات رحمة ينبغي ألا نضيق بها، بل نحيط بها وننتفع بحججها، ونرحب بمزيد من الاجتهادات لاستيعاب مستجدات الزمان والمكان. ونفتح باب الفقه المقارن واسعًا لتحقيق الفوائد المتبادلة على أن نمنع فوضى الفتوى بأمرين:

الأول: أن تصدر الفتوى من مؤهلين علمًا وتقوى.

الثاني: أن تشرع عن طريق مجالس الشورى المعتمدة.

ونقترح مقترحًا محددًا وهو إقامة مؤسسة للفتوى، تضم علماء من كل المذاهب المعتبرة، ومتخصصين في كافة المجالات يناط بها أمر الاجتهاد في القضايا الكبيرة التي استجدت وسوف تستجد في عالمنا.

رابعا: المسلمون اليوم مفرقون على عدد من الفرق أهمها أربع هي:

أهل السنة، الشيعة ، الصوفية ، الاباضية.

علينا أن ندرك المعاني المشتركة بين هذه الفرق.

فإذا كان أهم ما في نهج أهل السنة هو أتباع سنة محمد (ص) فكل أهل القبلة أهل سنة.

وإذا كان حب آل محمد (ص) هو أهم ما في نهج الشيعة فكل أهل القبلة شيعة.

وإذا كان أهم ما في نهج الصوفية هو أن للأحكام الإسلامية أغوارًا روحية فكل أهل القبلة على ذلك النهج.

ولكن هذه الفرق باعدت بينها حيثيات تاريخية ومفردات دينية.

هذه العوامل المفرقة بين الفرق لا سبيل لحسمها بالحوار فإن لكل حجته، ولا مشروعية لحسمها بالقوة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. والإخاء الإسلامي يوجب على أهل القبلة التعايش والتسامح فيما بينهم من اختلافات الفرق وتفويض الأمر فيها لله: ﴿فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

الإخاء الإسلامي والحكمة يوجبان التعايش بين أصحاب هذه الرؤى والامتناع عن تكفير وتخوين بعضهم بعضًا، والامتناع عن استخدام العنف لحسمها، والالتزام بآداب الاختلاف في الإسلام: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. إذ لا بد من تجنب الكافة لغة الخصومة التي كرس لها التسنن الأموي والتشيع الصفوي.

ولتأكيد التعايش بين المسلمين نقترح إنشاء آلية لفض النزاعات بين الجماعات الإسلامية، وللتوسط بينها وبين النظم الحاكمة، وكذلك إنشاء مؤسسة من كبار العلماء للدفاع عن المظلومين والمستضعفين يكون شعارها صون كرامة الإنسان

وكفالة حقوقه وحرياته الأساسية. كذلك نقترح إنشاء هيئة من كبار العلماء ذوى الكلمة المسموعة لتقديم النصح لأغنياء المسلمين، دولا وشركات وأفراد بأن يستثمروا أموالهم في البلدان الإسلامية لرفع مستواها الاقتصادي ووضع برنامج لمحاربة الفقر الذي أصبح مهددًا رئيسيًا للاستقرار وعاملاً أساسيًا في نشر العنف: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ، بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

خامسا: في العالم الإسلامي اليوم بضع وخمسون دولة. وأهم اختلاف عملي بين المسلمين هو المتعلق بولاية الأمر. ولاية الأمر من إمامة، وخلافة، وسلطنة، كانت تاريخيًا من أهم أسباب الاقتتال والاحتراب وسفك الدماء.

نحن اليوم لا نستطيع في الأفق المنظور الاتفاق على نظام حكم واحد. والحكمة توجب التوافق على حرية أهل القبلة في أقطارهم المختلفة في اختيار النظام الذي يريدونه، على أن يراعوا الأسس الآتية:

أن يكون أمر الحكم شورى بين المسلمين في الولاية والإدارة.

أن يحقق النظام الحكم الراشد القائم على المشاركة والمساءلة، والمناصحة، والتنمية، والعدالة الاجتماعية، واستقلال القرار الوطني.

أن يلتزم النظام بقطعيات الشريعة الإسلامية وبحرية الاجتهاد

وضوابطه، فيما عدا القطعيات لاستيعاب مستجدات الزمان والمكان.

سادسًا: هنالك خلاف بين أهل القبلة في أمر المهدية، وهو خلاف تتصارع فيه الحجج، ولا يرجى حسم الأمر بترجيح حجة واحدة على سواها. إنها اختلافات يفوض أمرها لرب العالمين ولا مانع أن تدعو كل فرقة لحجتها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي هذا المناخ المتسامح المبرأ من التكفير والإقصاء نستطيع معشر أهل القبلة أن نتفق على برنامج للإصلاح الديني، ينير السبيل بالتوحيد لله والعمل الصالح وبسط العدل والحرية والإخاء للكافة.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

لا يوجد إجماع حول المهدية ولا مانع من احتفاظ الفرق بحجتها فيها. ولكن يوجد إجماع حول ضرورة وواجبية الإصلاح الديني.. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. هذا وحده السبيل لاستحقاقنا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

فالخيرية هذه لها شروطها واستحقاقاتها التي لا تنال إلا بها وعن طريقها يتحقق الوعد الحق للأمة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

سابعا: ينبغي أن تكون علاقاتنا بالآخر الملّي والدولي قائمة على التسامح والتعاون في سبيل الخير.. ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

هذا هو مبدأ تعاملنا مع الآخرين.

ولكن واجه المسلمون في الماضي الاستعمار المباشر واليوم يواجهون ثلاثة نكبات هي: الاستيطان كما في فلسطين، والاحتلال كما في أكثر من إقليم، الاستغلال في معاملة بلداننا وبصورة غير متوازنة وغير عادلة.

علينا أن نوحّد الإرادة لمواجهة هذا العدوان الاستيطاني، الاحتلالي، الاستغلالي في سبيل تحقيق نظام دولي أعدل وأفضل. وفي هذا الصدد لا بد من دعم المقاومة المشروعة وتغذيتها، والتمييز بينها وبين العنف غير المشروع الذي يستهدف المدنيين والأبرياء على أساس ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

الهيمنة الدولية تراهن على الفرقة بين أهل السنة والشيعة في سبيل بسط هيمنتها.

وهم يراهنون على توظيف الملف النووي لنفس الغرض.

نحن المسلمين نرفض أسلحة الدمار الشامل من حيث المبدأ ونعتبرها من أخبث ما أنتجت التكنولوجيا الغربية لأنها تخرق قانون الحرب الأخلاقي الذي سنه النبي (ص) والذي يوجب تجنب

أذى الأهداف المدنية في القتال.

هنالك مبدأ أخلاقي آخر وهو المعاملة بالمثل ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فماذا نعمل إزاء تملك الأعداء للسلاح النووي؟

السبيل الوحيد العادل والأخلاقي في هذا المجال هو أن نطالب ونعمل على أخلاء منطقتنا كلها من أسلحة الدمار الشامل، وكذلك نزع الأسلحة النووية، كما نصت بذلك الاتفاقية الدولية. هذا هو موقفنا المبدئي: إخلاء منطقتنا من السلاح النووي، وتجريد القوى النووية الحالية منه.

هذا الموقف لا ينطبق على التكنولوجيا النووية التي تمثل أفقًا جديدًا من آفاق التقدم المعرفي الإنساني، لا ينبغي أن نتخلف عنه، وهي معرفة ذات توظيفات مدنية كثيرة نفرط إذا نحن تقاعسنا عنها.

إننا معشر أهل القبلة نلتزم بهذا الميثاق وسوف نختار حكماء يمثلون الأمة لمتابعته وبسط معانيه وعلى الله قصد السبيل».

❖ ❖ ❖

حول «**حاجتنا إلى فقه جديد**» دار بحث الدكتور إحسان بعدراني من سوريا. قال فيه مبينًا معنى الفقه الجديد:

«مسألة الدعوة إلى فقه جديد - عندنا – هي دعوةٌ إلى:

إعادة الاعتبار لمنهج الحوار، ولأسلوب الجدال بالتي هي أحسن،

ليس مع منكري الشريعة الإسلامية فقط، بهدف تصحيح أفكارهم المشوهة والمحرفة عنها، وتقويم أحكامهم العدائية عليها، بل مع المسلمين أنفسهم لإبعادهم عن التعصب والغلو والتكفير .

إن لنا في رسول الله أسوة حسنة. تلك حقيقة لا يختلف فيها مسلمان. لكن لنا أيضاً في أئمة المسلمين أسوة حسنة. فالشافعي مثلاً، قال بوجوب قراءة المؤتم للفاتحة في الصلاة وبالجهر بالبسملة، وأبو حنيفة قال بجواز الاكتفاء بقراءة الإمام للفاتحة وبإسرار البسملة، ومع ذلك لم نسمع أن أحدهما كفَّر الآخر، لسبب بسيط. فكلاهما أدرك أن الثابت هو الصلاة وأن المتغير هو التطبيقات الفرعية لهذا الثابت. فالصلاة مقبولة وجائزة سواءً عقدتَ فيها الأيدي أم أسبلت، قرأتَ فيها الفاتحة خلف الإمام أم لم تقرأ، جهرتَ بالبسملة فيها أم أسررت.

فمجرد قولنا إن التوحيد هو رأس الثوابت في الشريعة الإسلامية, يرسم لنا خطاً لا مجال للخروج عنه في مسألة (حوار المذاهب) التي تأخذ في يومنا هذا مكان الصدارة من أجهزة الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، وكذلك في المؤتمرات والملتقيات والندوات.

ومجرد قولنا إن الإنسان ـ أياً كان مذهبه ـ هو الهدف الأول والمقصد الأخير في الشريعة الإسلامية، يضع لنا ركائز مواقفنا وأبعاد رؤيتنا للعديد من المسائل في حياة هذا الإنسان, كالابتعاد

عن الإفراط والتفريط في الجانب التعبدي والحَيَاتي، وكاجتناب التشدد والغلو والتطرف المؤدية إلى العنف في الجانب الاجتماعي، وكذلك ترك التعصب المذهبي والطائفي في الجانب العقائدي والمؤدي إلى القتل والخراب الذي أشار إليه ياقوت الحموي في معجم البلدان.

يقول ياقوت عن مدينة«رَي»: «.. مدينةٌ ليسَ بعدَ بغدادَ في المشرقِ أعمرُ منها.. لها قرى كبار كل واحدة أكبر من مدينة، اشتبك فيها البناء واليسار والخصب والعمارة.. مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق المحكم الملمع بالزرقة.. اتفق أنني اجتزت في خرائبها سنة ٦١٧هـ. هارباً من التتر فوجدت حيطان خرابها قائمة ومنابرها باقية وتزاويقها بحالها، إلا أنها خاوية على عروشها. فسألت رجلاً من عقلائها عن السبب في ذلك فقال: أما السبب فضعيف، لكن الله إذا أراد أمراً بلغه. كان أهل المدينة ثلاث طوائف: شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعة وهم السواد الأعظم. فوقعت العصبية بين السنة والشيعة، وتطاولت الحروب، وتضافر الحنفية مع الشافعية على الشيعة حتى لم يتركوا فيهم من يُعرف، فلما أفنوهم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية.. وهذه المحالّ الخراب التي ترى هي محالّ الشافعية والحنفية..» أهـ.

هذا الخبر مثال نموذجي لما يفعله التشدد والتعصّب والغلو

المذهبي والطائفي بأهله، حين يغيبون عن فهم الثوابت والمتغيرات في إسلامنا العظيم. لكن الأعجب منه هو ذلك الرجل الذي روى لياقوت خبر خراب المدينة، متوهمًا أن الخراب هدف إلهي غير مردود، تعالى الله عما يصفون، في حين أن السبب الحقيقي هو التعصب المذهبي والطائفي المتطرف وجهل القوم بالهدف الإلهي من تكريم الإنسان وتسخير قوى الطبيعة، لرفاهه وسعادته».

❖ ❖ ❖

ومن لبنان كذلك قدم السيد علي فضل الله بحثًا تحت عنوان «**معالم وحدوية لتجاوز مخاطر الانقسام والتفتيت**» استعرض فيه الأخطار التي تحدث بمشروع التقريب والفرص المتوفرة لنجاحه.

وحول العقبات عدد ثماني منها نقف عند المسألة السياسية حيث قال:

«لا يزال الواقع السياسي يمثل المصدر الأساس والأول في إثارة الخلاف بين المسلمين.. كونه يمثل ساحة من ساحات العمل الذي يعتمده الاستكبار للحؤول دون تعاظم أي قوة أو دولة أو جهة تسعى لمقاومة نفوذه، وذلك من خلال إثارة العنوان المذهبي الذي يحمله هنا وهناك، بحيث يعمل على تحويل أي خلاف سياسي داخلي إلى خلاف مذهبي، كما هو حال التعامل مع الخلاف بين المسلمين في العراق ولبنان، وكما يتم التعامل مع سوريا وإيران وفلسطين...

إن الخلاف المذهبي موجود وكان موجوداً طوال التاريخ، لكن إثارة هذا الخلاف كان دائمًا يفتعل من قبل الذين يحركون الواقع السياسي. فهؤلاء كانوا دائمًا يلجأون إلى الخلافات المذهبية لتحريك العصبيات بين المسلمين ضد بعضهم البعض.

إن المرحلة تقتضي تحركاً من كل الغيارى لإزالة التوترات بين الدول الإسلامية، والتي لا يستفيد منها إلاَّ من لا يريدون خيراً للأمة، والتزام القاعدة التي أطلقها الإمام علي(ع) «لا سلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلاّ عليَّ خاصة». فلا يسمح للمصطادين بالماء العكر أن يتحركوا بحرية، أو يسمح لهم باللعب على تناقضات المسلمين وتحويل الصراعات السياسية عندهم إلى صراعات مذهبية، ونحتاج أيضًا إلى مضافرة جهود كل العلماء والمفكرين المخلصين لتوعيه الأمّة على ذلك، والسعي لدى المنظمات الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية إلى تخفيف الاحتقانات التي تنشأ بين الدول، لاسيما عندما تترك تأثيرها على الواقع المذهبي، وتتيح للقوى المعادية الاستيلاء على الساحة، والإسراع في مواجهتهم، وعدم الانصياع لكل من يسعى إلى تعميق جذور الخلاف فيما بينهم، لاسيما أن الناتج من هذه الخلافات لا يبقى في الدائرة الدينية عادة، وإنما يمتد ليتحول ضَعْفاً في المناعة تفقد هذه البلاد مواقع القوة فيها وتمنعها من تحقيق استقرارها.

ولأجل ذلك لا بد من:

أ. إيجاد قوة ضغط من قبل العلماء وكل الفعاليات الحريصة على الوحدة بين المسلمين من أجل منع تمدد الخلاف إن حصل، وحصر هذه الخلافات في الدائرة السياسية ومنع امتدادها إلى الجانب المذهبي.

ب . الإسراع في معالجة كل الإثارات التي ينتجها الخلاف السياسي في الجانب العقائدي أو التاريخي أو التشريعي أو القرآني والتحرك لتبيان الرأي فيها وعدم النظر إلى هذه الاختلافات بسلبية بل بمسؤولية.

ج . إبراز ما تتضمنه الدراسات والمواقف التي تصدر عن مراكز دراسات الغرب وقياداته السياسية، والتي تظهر سعي الدول الاستكبارية لإثارة الفتن، ولتمرير مشاريع التجزئة في المنطقة وفي العالم الإسلامي .... والتنبيه إلى ما تعمل له الوسائل الإعلامية المرتبطة بتلك الأجهزة من تسليط للضوء على الخلافات بين المسلمين وتكبيرها... وسعيها لإبراز النماذج المتعصبة باعتبارها صورًا تمثل الإسلام وحركته.

د- التأكيد على وجود أخطار تحدق بكل الواقع الإسلامي والعربي... والتي هي السبب في توليد الأزمات التي تحيط بالمسلمين في أكثر من منطقة ودولة خاصة في العراق وإيران... وأنّ على المسلمين أن يعوا أن مخططات المستكبرين تسعى إلى

إسقاط كل مواقع القوة عندهم، كي تبقى بلاد العرب والمسلمين بقرة حلوب يستدرونها لصالحهم.

هـ . عدم الاستجابة لمنطق التخويف من الجمهورية الإسلامية الذي تعتمده السياسة الأمريكية الاستكبارية حاليًا في سعيها من أجل تحويل الأنظار عن سياستها العدوانية الداعمة لسياسة الكيان الصهيوني في المنطقة، وذلك لتأجيج المخاوف المتبادلة بين الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية فيما بينها بدلاً من اتجاه المخاوف إلى وجهتها الحقيقية».

ما كان إلاّ الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة. وما كان إلاّ حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخوانًا. وما يمكن أن يجمع القلوب إلاّ أخوة في الله تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية. ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال.

الشهيد سيد قطب

القراء الكرام

المجلة تستهدف :

١ - تقديم مفاهيم التقريب وقضاياه باختصار، ومحاولة تطوير الأسلوب لينسجم مع حجم المقال والذوق الأدبي.

٢ - التركيز على الجوانب العملية القائمة في الساحة وفي الأذهان بشأن وحدة الأمة الإسلامية.

٣ - التوجّه إلى الثقافة العامّة للتنوير ولمعالجة الإشكاليات على ساحة أوسع من المهتمين بقضايا الأمة.

٤ - ربط قضية التقريب بالمشروع الكبير للأمة وهو تفعيل ثقافتها وتوجيه حركتها نحو استعادة وجودها الحضاري.

نتقدّم أولاً بالشكر لكلّ من ساندنا، ونطلب من القراء الكرام أن يتفضلوا علينا بملاحظاتهم ونقدهم ومساهماتهم على العنوان:

azarshab@mohammadali.com